علّم نفسك

٧

أعمدة الاستعمار الأميركي

للعالم الاقتصادي الأميركي
فيكتور بيرلو

مع مقدمة للكاتب الاجتماعي الكبير
الدكتور جورج حنا

دار العلم للملايين
بيروت
١٩٥٢

مقدمة

بقلم الكاتب الاجتماعي الكبير

الدكتور جورج حنا

●

الحقائق التي يكشف عنها هـذا الكتاب يجهلها الكثيرون من الناس . هذا ما يجعله جديراً بالمطالعة لكي لا تبقى هذه الحقائق مجهولة .

وممّا يزيد في قيمة الكتاب ، مجيئه في وقته . ومما يزيد في قيمته ايضاً ، ان مؤلفه اميركي ، والدار الناشرة (للأصل) اميركية، والمستندات الواردة فيه مأخوذة من صحف اميركية وتقارير وضعها رجال السياسة وارباب العمل في اميركا نفسها. ومما يزيد في قيمة الطبعة العربية اكثر واكثر ،صدورها في الوقت الذي يشنّ فيه الاستعمار الاميركي معركته على العالم العربي وعلى زميليه ، الاستعمار البريطاني والفرنسي معاً .

وقد احسن المعرّب اختيار الظرف المناسب لاصدار هذه الطبعة . فالظرف الذي تمرّ فيه الاقطار العربية ، والمساعي التي تبذلها الولايات المتحدة، لتقوية نفوذها في هذه الاقطار، والمشاريع التي أدخلتها ، والتي تنوي ادخالها عن طريق الفرض المبطّن بغيرة

انسانية تارة ، واجتماعية او دفـــاعية تارة اخرى ، اخفاء للغاية الاستثمارية الاستعمارية ، هدفها الاول والاخير ، يضاف الى ذلك الميوعة المتجلية في سياسة الحكومات العربية، كل هذه الامور من شأنها ان تجعل من كتاب « اعمدة الاستعمار الاميركي » كتاب الساعة ، وتكسب معرّبه فضلاً تعترف له بــه الشعوب العربية والشعوب المستعمَرة والمستثمَرة جمعاء.

لقد قرأت هذا الكتاب من الفه الى يائه . واني اتمنى ان يقرأه كل قارىء عربي ، ويتمعّن في محتوياته ، ثم يصدر حكمه عــلى ضوء هذه المحتويات ، في الدعاوات الـتي تروّجها المحـافل السياسية الاميركية ، والدعاوات التي تسخرها هذه المحافل . ونحن عــلى اكثر من اليقين ، أنه لن يلبث عندئذٍ حتى يضع هـذه الدعاوات على المحك ، ويعرف غثها من سمينها ، اذا كان فيها من سمين .

فمنذ وضعت الحرب الاخيرة اوزارها ، وخرجت منها اميركا باقلّ قسطٍ من الخسارة ، بالنسبة الى خسارة احلافها ، وجدت نفسها في مركزٍ يمكنها من فرض سيطرتها عــلى من قبل منهم بالرضوخ لزعامتها ، ورأت المجـــال مفتوحاً امامها لتوسيع مدى استعمارها الاقتصادي على حساب هؤلاء الاحلاف الاتباع. زد على ذلـك انقسام العالم بعد الحرب الى شطرين متباعدين ، او جبهتين مختلفتين في نظرتها الى الحياة من نواحيها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنظامية ، الواحدة اشتراكية يتزعمها الاتحادالسوفياتي والثانية رأسمالية تتزعمها الولايات المتحدة الاميركية . واذ رأت هذه الاخيرة ان الجبهة التي تتولى هـــي زعامتها آخذة بالتقلّص

شيئاً فشيئاً ، وان اجزاء واسعة من العـــالم افلتت من قبضتها الاقتصادية ، لا سيما بعد نجاح الثورة الشعبية الصينية ، بدأت تفكر فيما قد يجرّه عليها هذا الوعي الجديد في الشعوب ، وفيما عساها ان تعمل لـكي تحافظ على سيادتها الاقتصادية ، وتضمن لرساميلها حرية التحكم بالاسواق العالمية ، كما تضمن ايضاً استقرار الحالة المعيشية في بلادها . من هنا نشأت عندها الفكرة الاستعمارية التي يحمل لواءها ملوك المال والصناعة والتجارة ، والتي تتمركز قيادتها في « الوول ستريت » .

ولكن الاستعمار لم يعد مهضوماً ولا مقبولاً عند الشعوب . حتى الحكومات التي تتحكم في شعوبهـــا بقوة الاستمرار ، لم يعد بمقدورها خنق الروح التحررية الشعبية الوثابة بل لم يعد بمقدورهـا مواصلة تقديم العون للاستعمار . فالحكمة اذن تقضي بخلق صيغة جديدة تخدع الشعوب المطموع بها، وما اكثر هذه الصيغ في جعبة المستعمرين . هذا ما يبيّنه بكثير من الجلاء هذا الكتاب .

اما الصيغة الجديدة التي خلقها الاستعمار الاميركي والتي اشرف على خلقها «الوول ستريت» فهي المساعدة للبلدان المتخلفة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ، والوعود التي تضمنتها النقطة الرابعة من خطاب الرئيس ترومان ، والدفاع عن العـــالم الحرّ ، ومقاومة المبادىء الشيوعية ، وما كان على شاكلة ذلك من ضروب الدجل السياسي ، الـــتي اعتمدتهـا السياسة الاميركية الجديدة لاظهار اميركا بمظهر الانساني المنقذ ، الذي يعمل لخير البشرية والسلام العالمي .

على انه فات السياسة الاميركية ان الوعي الشعبي بلغ حداً لم

تعد تنطلي فيه هذه الحيل على الشعوب . فالشعوب الاسيوية آخذة بالتحرّر من النير الاستعماري مقتدية بالشعب الصيني . والشعوب الافريقية ، الشمالية منها على الاخصّ ، تتحفز للوثوب . والشعوب العربية التي اصبحت اليوم قبلة الاستعمار الاميركي، بفضل كنوزها النفطية الغنيّة ، ثائرة على الاستعمار وعلى عميلته وحليفته الرجعية الوطنية . كل هذه الامور بدأت تقلق اميركا وملوك رأس المال الاميركي . فرأس المال الاميركي هو الموجّه الاول للسياسة الاميركية ، بل قد لا يكون للسياسة الاميركية موجّه سواه . وان شئت برهاناً على ذلك فانك تجده فيما ستقرأه في هذا الكتاب من تصريحات اقطاب السياسة والاعمال الاميركيين . اسمع ما يقوله المستر اتشيسون ناظر خارجية اميركا في خطاب القاه في آذار عام ١٩٥٠ :

« يجب ان يثق اصحاب الرساميل ان ممتلكاتهم لن تصادر من غير تعويض عادل (كذا) وان في ميسورهم ان يُخرجوا ارباحهم المشروعة ورأسمالهم من البلاد (يعني البلاد التي يوظفون فيها رساميلهم) ، وأن تكون لهم حرية معقولة في ادارة اعمالهم في حدود القانون المحلي المطبق على الجميع بالتساوي . » ثم يقول ايضاً :

« يجب علينا ايجاد المناخ الملائم لتوظيف الرساميل . »

والمناخ الملائم في عرف السياسة الاستعمارية ، كما دلّنا تاريخ الاستعمار ، معناه التدخل في السياسات الوطنية وقمع الحركات الشعبية تحت ستار المحافظة على الامن العام . وليس علينا ان نبعد كثيراً لنرى امثلة عن ايجاد هذا المناخ الملائم عندنا . فلكي يكون

المناخ ملائماً لتوظيف الرساميل الاجنبية ، يسعى اصحابهـا اولاً لاشراك اصحاب الرساميل الوطنية بقسط محدود من الارباح ، ثم يسعون بنفوذهم ونفوذ شركائهم الوطنيين الى سن قوانين تساعد على نشوء المناخ الملائم هذا ، ثم يتحالفون مع القوى الرجعية في البلدان التي تطغى فيها رجعية الاقطاعية والدين ، ليشلّوا الحركات التقدمية . وعندما تخونهم هذه المداورات يخلعون اقنعتهم ، وتثور غيرتهم على الاستقرار والامن العام والسلام العالمي والمثل العليا ، ويلجأون الى التهديد المقنع ثم التهديد المكشوف . يفعلون كل ذلك لايجاد المناخ الملائم الذي تكلم عنه السيد اتشيسون ، والذي نرى مسطرة عنه في بلادنا .

ثم اسمعه يقول في خطاب له عن النقطة الرابعة ، بعد مقدمة طويلة عريضة من الدعاية المألوفة : « احسب ان هناك فكرة شائعة تذهب الى اننا سوف ننشيء مصانع كبيرة ومناجم لتلك الشعوب المتخلفة اقتصادياً . فأنا أعلنُ هنا ان ذلك غير صحيح » . فكأن السيد اتشيسون اراد بذلك ان يطمئن اصحاب الرساميل الكبيرة والصناعات الضخمة ، الى ان مشروع النقطة الرابعة لن يرتكب جريمة ايجاد صناعات في البلدان التي يشملها ، بل يكتفي بارسال خبراء يساعدون على خلق مشاريع زراعية ومائية وفتح طرقات وما اشبه ، تفسح للصناعة الاميركية مجال التصدير ويكون فيها الخبراء سماسرة لرأس المال الاميركي. هذا ما لمسناه في الاتفاقات التي عقدها ويعقدها ممثلو هذا المشروع مع حكومات الدول التي وافقت عليه ومنها حكومتنا .

لقد كانت الحربان العالميتان الاولى والثانية ، عبارة عن تجارة رابحة لاميركا،استطاعت بواسطتهما تقوية صناعاتها وتضخيم رساميلها فاكتسبت بذلك الزعامة المالية والصناعية . وهي الآن لا يهمها شيء اكثر من ان تحافظ على هذه الزعامة باية وسيلة كانت ، حتى لو اقتضاها الامر زج العالم في حرب ثالثة . المهم ان تبقى لها هذه الزعامة ، التي تحدث عنها بوضوح Leo. D. Welch امين صندوق شركة ستاندرد للنفط في خطاب القاه سنة ١٩٤٦ جاء فيه :

« تلك التبعة هي الزعامة الايجابية القوية في شؤون العالم ، سياسية واجتماعية واقتصادية . ان من واجبنا ان نحققها باوسع ما تحتمله الكلمة من معنى . ان علينا بوصفنا اكثر دول الارض انتاجاً واقواها رساميل واغناها بالصناعة الآلية ان نحزم امرنا ونتحمل المسؤولية التي يلقيها على عاتقنا كوننا نملك غالبية الأسهم في تلك الشركة التي يطلقون عليها اسم العالم . وليس ينبغي ان يكون ذلك الى اجل مسمّى . انه واجب سرمدي لايجوز التفريط به ».. (هتلر يتكلم ...) ثم يخلص الى القول :

« والواقع ان سياستنا الخارجية سوف تكون في المستقبل اكثر اهتماماً بسلامة رساميلنا الموظفة في الخارج واستقرارها مما كانت في ايما وقت مضى. وليس من ريب في ان احترام رساميلنا لايقل اهمية (كان اقرب الى الصدق ان يقول : اكثر اهمية) عن احترام مبادئنا السياسية . »

اليس في هذا القول ما يعني ان السياسة الخارجية الاميركية هي طوع الرساميل الاميركية وتتكيف بارادة ملوك

الوول ستريت وطبقاً لمصلحتهم ، ولو ادّى ذلك الى اللجوء للقوة والحرب للمحافظة على زعامة اميركا التي هي بالفعل زعامة الوول ستريت ؟ هذا ما يجيب عليه الماجور جنرال سمدلي بتلر في مذكراته عن حياته العسكرية اذ يقول :

« لقد قضيت ثلاثة وثلاثين عاماً في خدمة جيشنا الاميركي كنت في معظمها اشبه بقاطع طريق يعمل لمصلحة وول ستريت والشركات والمصارف الكبرى » .

لست انوي ان اجيء في هذه المقدمة على كل الشواهد والمستندات الدالة على ان السياسة الاميركية الخارجية اصبحت سياسة استعمارية مائة بالمائة . اني اترك للقارىء ان يتبين هذا لنفسه بعد قراءة هذا الكتاب. على ان ما اقصده هو ان يدرك بنو قومي دجل الدعايات التي يروّجونها عن المساعدات الاقتصادية والنقطة الرابعة والثقافة الحرّة والمبادىء الانسانية ، والديموقراطية الصحيحة التي تدعي اميركا زعامتها والتي قالت فيها الكاتبة ماري ليز، احدى زعيمات الحزب التقدمي الاميركي :

« لم تعد حكومتنا حكومة الشعب بواسطة الشعب ولمصلحة الشعب بل حكومة وول ستريت بواسطة وول ستريت ولمصلحة وول ستريت . والواقع ان قوانيننا هي نتيجة مسلك من شأنه ان يكسو الرذيلة بالحلل الغالية ، والفضيلة بالخرق البالية » .

مهما اجتهدت الدعاية الاميركية لتصوير اميركا بصورة الدولة المسالمة ، الراغبة في مساعدات الشعوب ، والعاملة في سبيل السلام العام ، ومهما انكرت هذه الدعاية كون اميركا دولة استعمارية، ومهما

نثرت اميركا من وعود وعهود ، ومهما انفقت عـلى دعايتها من اموال ، فالامر الذي لا تستطيع اخفاءه عن الناس ، الا ّعلى من كان منهم فاقد البصر والبصيرة ، هو طغيان رأس المال الاميركي على السياسة الاميركية ولا سيما على السياسة الخارجية فيها ، كما انها لا تستطيع تبرير موقفهـا من الحركات التحرريّة في البلدان التي تطمع باستعمارها واستثمارها فعلياً ، ان لم يكن اسمياً ايضاً . ففي كل بلد من هذه البلدان تعمـد السياسة الاميركية الى مساعدة القوى الرجعية فيها ، فتهرع الى اسداء المعونة لها لوقف كل حركة شعبية تقدمية ، او وطنية تحرريّة . فبينما هي تصطنع الغـيرة على حرية الشعوب وحقها في تقرير مصيرها ، وبينما نسمع دعاواتها تشكو من الحكام الرجعيين في البلدان الاسيوية والافريقية والعربية ، وتتغنى بحرية الشعوب ، اذا بنا نراها تحضن تشان كاي تشك في الصين ، وسيغمان ري في كوريا ، وتمالق الديكتاتوريين العسكريين في كل بلد منكوب بهم ، وتناصر مستعمري الهند الصينية وتونس والجزائر ومراكش ومصر ، وتحتل اليونان ، وتؤيد الحكومات المستبدة في تدابيرها القمعية لكل حركة نضالية شعبيـة ، متذرعة بالمبادىء ، وهي ابعد ما يكون عن الاهتمام بالمبادىء (راجع ما ورد في هذا الكتاب من خطاب Leo D. Welch) يدفعها الى كل ذلك غيرتها الملحّة في ان تضمن سلامة رساميلها ، وتحافظ عـلى زعامتها للعالم الذي ابتكرت له اسم العالم الحرّ ، علّها تتمكن بذلك ان تصبح زعيمة العالم كله . فالهوس « الزعامي » آخـذ منها كل مأخذ . واشد ما يُبلى به العالم ان يبلغ هذا الهوس حداً يدفع اصحابه الى

الاقدام على حرب عالمية ، طمعاً بالابقاء على هذه الزعامة وتخليد سرمديتها، كما صرّح علناً احد ملوك وول ستريت الآنف الذكر.

اننا اذ نقدم هذا الكتاب النفيس للعالم العربي ، نتمنّى ان يكون حافزاً لشعوب هذا العالم العزيز لكي تعي أمْرَها ، ولا تقع في الاحبولة التي ينصبها لها الاستعمار ، فتضمن لنفسها السلامة ، وتقف متحدة بوجه من يطمعون بها ، وتسمع الى شهادة شاهدٍ من اهلهم ، ولا تقبل بان تكون كبش المحرقة في حربٍ يروّج لها دعاة الحرب وتجارها .

الدكتور جورج حنا

١. نشوء الاستعمار الاميركي

•

ما هو الاستعمار ؟ وما هو الاستعمار الاميركي، على الخصوص؟ أهو سياسة العصا الغليظة التي نادى بها ثيودور روزفلت * ؟ اهو الاستيلاء على المستعمرات ؟ اهو حروب العدوان والتوسع الاقليمي ؟ أهو مشروع مارشال ؟ أهو نموّ الروح العسكرية واضطهاد الزنوج ؟

هذه كلها من عناصر الاستعمار . إنها تؤلف السياسات والاعمال الاستعمارية . ولكنّ الاستعمار شيء اكثر من ذلك . إنه مرحلة تاريخية من مراحل الرأسمالية . والواقع ان جميع الاعمال والسياسات تنبع من مرحلة التطور التي بلغتها الرأسمالية اليوم ، وهي اعلى مراحلها وآخرها .

لقد لخص لينين في كتابٍ له عوامل الاستعمار الاقتصادية الرئيسية على الوجه التالي :

(١) « تركيز الانتاج ورأس المال الى درجة عالية جداً تؤدي آخر الأمر الى نشوء احتكارات تلعب دوراً حاسماً في الحياة الاقتصادية .

---

* يقصد سياسة الشدة وقلة المرونة التي اتبعها هذا الرئيس الاميركي في علاقاته مع دول اميركة اللاتينية وغيرها . [المعرب]

(٢) اندغام رأس المال المصرفي برأس المال الصناعي ونشوء الاوليجاركية المالية * على اساسٍ من هذا الاندغام .

(٣) تصدير رأس المال الى البلدان الاجنبية .

(٤) تشكيل الاحتكارات الرأسمالية الدولية التي تتوزع خيرات العالم في ما بينها .

(٥) تقسيم العالم كله تقسيماً إقليمياً في ما بين الدول الرأسمالية الكبرى » ** .

فالاستعمار هو تلك المرحلة من الرأسمالية التي تسود فيها هذه العوامل والتي يرجع تاريخها الى اوائل هذا القرن .

ولكن من هم الاستعماريون الاميركيون ؟ ليس من ريب في ان الكثرة الغامرة من الاميركيين لا يدَ لها في الاحتكارات الصناعية والمالية على اختلافها . فالمواطن العادي لا يملك رأسمال يستطيع ان يصدّره أو يفيد منه بطريقة أخرى . إنه لا يشارك في المحالفات الاقتصادية الدولية وليس له نصيب في الفتوح الخارجية .

إن الشعب الاميركي ليس استعمارياً . الاستعماريون هم تلك الحفنة القليلة من الرجال الذين يملكون اميركة ويسيطرون عليها . إنهم أمراء المال من مثل مورغان Morgan، وروكفلر Rockefeller، وميلون Mellon، والبطانة التي تحيط بهم، وبعض رجال السياسة وقادة الجيش ومحرري الصحف والمسؤولين عن شركات السينما

---

* الاوليجاركية نظام من الحكم تستبد بالسلطة العليا فيه فئة قليلة جداً من المواطنين . [المعرب]

** Lenin, *Imperialism, The Highest Stage of Capitalism*, p.89, N. Y. 1939.

الذين يأتمرون بأمرهم. ومع ذلك فليس الاستعماريون الاميركيون غير قلةٍ قليلة جداً . إنهم لا يختلفون عن شعب الولايات المتحدة فحسب بل هم الدّ اعداء هذا الشعب أيضاً . ومن عجبٍ انهم يخلعون على سياستهم الاستعمارية اسم «السياسة الاميركية» وكأنها تعبير عن ارادة الشعب كله ، وانهم يُلبسون العدوان في الخارج لباسَ الدفاع عن هذه البلاد والحفاظ على حريات شعبها المسالم !..

جذور التوسع الاستعماري

والحق ان الاستعمار الاميركي لم ينشأ فجاءة خلال نصف القرن الذي مضى . إنه ثمرة الاحداث التاريخية السابقة في الولايات المتحدة وفي العالم . فبعد انقضاء حرب الاستقلال أخذت الرأسمالية الاميركية في التوسع الاقليمي على حساب الهنود، والمكسيكيين، ومختلف الدول الاوروبية الاستعمارية. وهكذا اصبحت الولايات المتحدة دولة ضخمة قارّية الاتساع ، بعد ان كانت من قبل رقعةً من الارض صغيرةً تمتدّ على الساحل الشرقي .

وافتتحت الحربُ الاهلية عهداً جديداً . ففي خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر نمت الصناعة في الولايات المتحدة بأسرع مما نمت في ايما بلدٍ آخر . وفي حين توسّع سادةُ الدول الاوروبية من طريق الاستعمار في ما وراء البحار والمحيطات، عُني رأسماليو الولايات المتحدة بالتوسع داخلَ حدود بلادهم السياسية . فبدلاً من ان يلتمس مالكو المصارف والسكك الحديدية والفولاذ والنفط مواردَ لهم في ما وراء البحار انتزعوا الاراضي من الهنود،

وحرموا المزارعين حقهم في فك ممتلكاتهم المرهونة ، وامتصوا اربحاً اسطورية من طريق تجارة الرقيق في الولايات الجنوبية . ليس هذا فحسب ، بل لقد استوردوا العمال من اوروبة بالملايين ، واستخدموا مئات الالوف من المكسيكيين والصينيين والفيليبينيين في انشاء السكك الحديدية والمزارع الرأسمالية في البقاع الجنوبية الغربية بأجور بخسة واحوال من العمل غير ملائمة. وفوق هذا كله شيّد الرأسماليون الاميركيون ثرواتهم الأولى على آلام الملايين من الزنوج الذين اختُطفوا من ارجاء إفريقية وآلام أبنائهم وبناتهم في الاجيال التي تلت .

وبينما كانت الرأسمالية الاميركية تتوسع في الداخل قادت عمليةُ المنافسة التي ينطوي عليها النظام نفسه الى نزعة جديدة هي جمع البيوت التجارية المتناحرة وتكتيلها في منظمة واحدة تحتكر المادة وتتحكم في تعيين اسعارها .

وحوالى سنة ١٨٩٠ انتهى نمو الاحتكارات المختلفة وتكتلها الى ان يُنزلا أذى كبيراً بمصالح العمال والمزارعين وصغار التجار. حتى اذا هاج الرأي العام هياجاً كبيراً اضطرت الحكومة الى إصدار قانون يضع حداً لجمع الشركات الاستثمارية الكبرى في ما يُعرف بالكتل المتحدة او التروستات Trusts ؛ ولكن هذا التشريع (وقد اطلق عليه اسم قانون شيرمن المضاد للتروست *

---

* اعلن هذا القانون عدم شرعية « أي عقد أو اتحاد يتخذ شكل تروست او أي شكل آخر ، أو أية مؤامرة من شأنها التضييق على الاتجار بين الولايات المختلفة أو بين الولايات المتحدة والدول الاجنبية. » [المعرب]

(Sherman Anti-Trust Act) لم يكن فعالاً بالكلية لأن الحكومة الرأسمالية في الولايات المتحدة كانت ولا تزال تمثل أقوى الجماعات الرأسمالية في البلاد ، أي الشركات الاحتكارية نفسها التي يُفرَض فيها مكافحتها ...

أما اندغام رأس المال المصرفي برأس المال الصناعي فقد استُهلّ بالدور الرئيسي الذي لعبه بيت مورغان الماليّ في تشكيل التروستات في حقليْ الفولاذ والمعدات الكهربائية ، والدور الذي لعبه بنك ميلون في تشكيل تروست الالومنيوم ، وإقبال آل روكفلر على شراء اسهم الـ « ناشيونال سيتي بنك » وسيطرتهم على الـ « تشايس ناشيونال بنك » . ولم تدخل سنة ١٩٣٠ حتى كانت هنالك ثماني مجموعات مالية ضخمة تسيطر على ٦٢ بالمائة من صناعات الولايات المتحدة الثقيلة ، ووسائل مواصلاتها ومصارفها ، كما جاء في تقرير رسمي أصدرته الحكومة الاميركية نفسها * .

وهذا الوضع قادَ الى تجمّع الرساميل تجمعاً فاحشاً في أيدٍ قليلة جداً . وإذْ كان قانون الرأسمالية هو الكسب المستمرّ فقد تعيّن على الشركات الاحتكارية أن تبحث عن حقول جديدة توظف فيها رساميلها الفائضة . ومن هنا التمس اصحاب الرساميل المالية الاميركية مصادرَ للربح خارج حدود الولايات المتحدة القاريّة . وهكذا اخذت الولايات المتحدة تصدّر رأس المال الى البلدان الاجنبية وهي التي كانت من قبلُ بلداً يستورد رؤوس

---

* U. S. National Resources Committee, *The Structure of the American Economy*, Part I, p. 317, Washington, 1939.

الأموال من الخارج .

ولم تكد الشركات الاميركية تغزو البلدان الاجنبية حتى عملت على اقتسام الممتلكات والأسواق فيما بينها وبين زميلاتها الأوروبية . فمنذ اوائل القرن الحالي اقتسمت كتلة روكفلر المتحدة منابع النفط المعروفة آنذاك واسواقه العالمية فيما بينها وبين شركات روتشيلد ونوبل . كما اقتسمت شركة « جنرال ايلكتريك » التي يسيطر عليها بيت مورغان المالي اسواق المعدات الكهربائية في العالم مع شركة « جنرال ايلكتريك » الالمانية المعروفة بال A.E.G. .

ويقضي منطق الاستعمار بأن تستتبع السيطرةُ الاقتصاديةُ سيطرةً سياسية وعسكرية . فلا عجب اذا ما وجدنا الدول الاستعمارية الكبرى تسارع ، خلال النصف الاخير من القرن التاسع عشر ، إلى بسط سلطانها السياسي والعسكري على مناطق مختلفة من العالم لكي تمكّن شركاتها الاحتكارية من استثمار تلك المناطق على هواها . ولم يكد ذلك القرن يؤذن بالانصرام حتى كانت الدول الاوروبية قد استعمرت بصورة رسمية كامل افريقية تقريباً والشرق الاقصى باستثناء الصين ، في حين امست الصين نفسها ، وسائر آسية ، واميركة اللاتينية مناطق نفوذ للرساميل الأوروبية . اما الولايات المتحدة فلم تهيمن ، قبل سنة ١٨٩٨ ، إلا على آلاسكا ، وهاوايي ، وجزء من جزائر ساموا .

وهكذا نجد ان عوامل الاستعمار الرئيسية الخمسة التي نصّ عليها لينين قد نشأت في الولايات المتحدة وكان نشوؤها على نطاق

عالمي" . وتلك هي جذور سياسات الحرب والكسب في الخارج ، والرجعية والتعصب القومي في الداخل ، هذه السياسات التي تُعتبر من ابرز خصائص الاستعمار ومميزاته . وقد مهّد هذا كله السبيل امام كايزر ، وسيسل رودس ، وثيودور رُوزفلت وغيرهم من بناة الامبراطورية الاميركية الذين كانوا يمثلون الجبهة السياسية للرساميل المالية .

والواقع أن عضو مجلس الشيوخ ألبرت بفريدج ، أحد دعاة الاستعمار الاميركي الأولين ، وصف سياسة التوسع هذه حين قال في خطاب القاه سنة ١٨٩٨ :

« إن المصانع الاميركية تنتج اليوم اكثر مما يستطيع الشعب الاميركي ان يستهلك ، والتربة الأميركية تنتج كذلك اكثر مما نستطيع ان نستهلك. ومن هنا نرى ان القدر قد رسم لنا سياستنا: إن تجارة العالم يجب أن تكون بيدنا ؛ وليس من شك في اننا سنستولي عليها كما علّمتنا أمّنا ، انكلترة ، أن نفعل . ولسوف ننشيء قواعد تجارية في ارجاء العالم كله لتوزيع المنتجات الاميركية. وسنملأ ماء المحيط باسطولنا التجاري . وستنهض حول مراكز تجارتنا مستعمرات كبرى تحكم نفسها بنفسها ولكنها ترفع علمنا وتتاجر معنا ... * »

وليس من شك في أنّ العمال في المصانع والمزارع الاميركية لم يُنتجوا ، في يوم من الايام ، ما يسدّ حاجة الشعب . ولكنهم انتجوا خلال الخمسين السنة الماضية اكثر بكثير مما أجازت الرأسمالية

---

* Quincy Howe , *A World History of Our Own Times*, pp. 128-29, N.Y., 1949.

للشعب أن يستهلكه . والمحاولة الاستعمارية لحل هذا التناقض إنما تتمثل في ما اقترحه بيفريدج الناطق باسم الرأسمالية .

طرائق التوسع الاستعماري

لقد نُشّيء الشعب الاميركي على الاسطورة القائلة بان جيوش الولايات المتحدة غير عدوانية nonaggressive ، وان المشاريع التجارية الاميركية تغزو العالم من طريق المنافسة السلمية وخدمة المستهلكين . وانما اهدف في هذا الكتاب الى تقويض هذه الاسطورة واصفاً طرائق العمل التي تصطنعها بيوتات وول ستريت * Wall Street وصفاً تفصيلياً دقيقاً .

والحق ان استخدام القوة العسكرية استخداماً عدوانياً كان ولا يزال هو الوسيلة الرئيسية التي تعتمدها الولايات المتحدة في توسعها الاستعماري . ففي سنة ١٨٩٨ شنت الولايات المتحدة حرباً استعمارية لأعادة تقسيم العالم ؛ وكانت هذه الحرب ثانوية خاضتها ضد عدوٍ مستضعف ، هو اسبانية . ومع ذلك فقد كانت غنيمتها

---

* حي المال في مدينة نيويورك وهو يسيطر كما سنرى على الحياة الاقتصادية والسياسية في الولايات المتحدة سيطرة شبه كاملة . يدلك على ذلك ما قالته ماري ليز احدى زعيمات الحزب الشعبي Populist Party المطالب بحقوق المزارعين : « ان وول ستريت يملك هذه البلاد . فلم تعد حكومتنا حكومة الشعب بواسطة الشعب ولمصلحة الشعب ، بل حكومة وول ستريت بواسطة وول ستريت ولمصلحة وول ستريت ... والواقع ان قوانيننا هي نتيجة مسلك من شأنه ان يكسو الرذيلة بالحلل الغالية ، والفضيلة بالخرق البالية . »
[المعرب]

ضخمة هائلة : — استولت على الفيليبين وبورتو ريكو ؛ وسيطرت بصورة غير رسمية على كوبا ؛ وكسبت منطقة نفوذٍ واسعة تشمل القسم الشمالي من اميركة الجنوبية وكامل اميركـــة الوسطى ؛ وبسطت سلطانها العسكري على بحر الكاريبيان وعلى كثير من القواعد المهمة في المحيط الهادىء . ليس هذا فحسب ، بل لقد امتد نفوذ الولايات المتحدة المتعاظم ، منذ ذلك الحين ، تعاظماً كبيراً الى بـــلدان اميركة اللاتينية حيث كانت الرساميل البريطانية والفرنسية هي صاحبة اليد العليا .

ولم تكن الحرب ضد اسبانية غير بداية متواضعة . ذلك بان شعوب تلك البلاد التي بسطت اميركة سلطانها عليها لم تكن راغبة في ان تستبدل بمستثمريها الانكليز او الاسبان مستثمرين جدداً من وول ستريت . فما كان من امراء الاستعمار الاميركي إلا ان خاضوا غمرات الحروب العدوانية او التدخـل المسلح ضد شعوب الفيليبين ، والمكسيك ، وكوبا ، ونيكاراغوا ، وباناما ، وهايتي ، وكولومبيا ، والجمهورية الدومينيكية ، وكوستاريكا ، وهوندوراس ، والصين .

وإنما يتجلى الدور الذي لعبته القوة العسكرية في تدعيم سيطرة وول ستريت الاقتصادية على البلدان نصف المستعمرة في هـــذه الكلمات التي لخص فيها الميجور جنرال سمدلي بتلر حياته العسكرية :

«لقد قضيت ثلاثة وثلاثين عاماً في خدمة جيشنا الاميركي ، كنت في معظمها أشبه بقاطع طريق يعمل لمصلحة وول ستريت والشركات والمصارف الكبرى ...

وهكذا ساعدتُ على جعل المكسيك مكاناً آمناً لشركات البترول الاميركية ، سنة ١٩١٤ ؛ وعلى جعل هايتي وكوبا ارضاً يستطيع الـ « ناشيونال سيتي بنك » استغلالها ... ومهدتُ السبيل أمام بنك الاخوة براون لاستثمار نيكاراغوا سنة ١٩٠٩-١٩١٢ . وفتحتُ ابواب الجمهورية الدومينيكية في وجه شركات السكّر الاميركية ، سنة ١٩١٦ ... أما في الصين فقد ساعدتُ شركة ستاندرد أويل على أن تشق طريقها ، سنة ١٩٢٧ ، في سهولة ويُسر . » *

وإذا كانت الامبراطورية الاميركية قد استهلت حياتها بالحرب والعدوان فقد حققت نموّها الأعظم بالطريقة الدامية نفسها . والواقع ان جميع ما كسبه الاستعمار الاميركي بعد ذلك ، تقريباً ، ناشيء عن الدور الذي مثّله في الحربين العالميتين الاولى والثانية وعن اعمالها وتهديداتها العسكرية في السنوات التي عقبت الحرب العالمية الثانية .

ولكن التوسع الاميركي لم يُحَقَّق كله بالطرائق العسكرية . فقد لعب الضغط الاقتصادي دوره المهمّ في ذلك أيضاً . وهذا الضغط يشمل ، في ما يشمل : (١) تقديم القروض الى البلدان المستضعفة والتي خرّبتها الحرب ، بشروط مناسبة للشركات الاميركية . (٢) عقد الاتفاقات التجارية التي تحظر حماية الصناعات في الدول المستضعفة من خطر الاحتكارات الاميركية الضخمة . (٣) منع السفن من السفر الى بعض البلدان وشنّ الحرب على

---

* Smedley D. Butler in *Common Sense*, Nov., 1935.

عملاتها الرسمية . (٤) تقوية العناصر الرجعية في البلدان الاخرى لكي تستطيع خدمة مصالح وول ستريت الواسعة . (٥) عقد المعاهدات التي تمكّن الشركات الاميركية من الاستيلاء على موارد الشعوب الأخرى استيلاءً غير محدود . (٦) التدخل الديبلوماسي لانتزاع الامتيازات لمصلحة شركاتٍ أميركية بعَيْنها. (٧) تعيين المستشارين الماليين الاميركيين وجامعي الضرائب ابتغاء السيطرة على مالية البلدان الضعيفة .

وطبيعيٌ أن تسير الطرائق العسكرية والطرائق الاقتصادية جنباً الى جنب . ذلك بأن قوة الاستعمار الاميركي الاقتصادية تقدّم الاساس الذي تقوم عليه قوته العسكرية . في حين ان الضغط الاقتصادي أو الديبلوماسي لا يجدي إلا اذا دَعمَه تدخل عسكريٌ أو تهديد باللجوء الى مثل هذا التدخل . وهكذا تلتقي جميع الأساليب في خطة توسّعية عامة تكون « سلمية » حيناً ، وشبه حربية حيناً ، ولكنها موجّهة أبداً ضد شعوب البلدان التي يتفق ان تقع ضحية المطامع الاميركية .

وتتعاون الكتل الاحتكارية المتحدة أو التروستات اوثق التعاون مع الحكومة المركزية على تحقيق هذا البرنامج . والواقع ان الشخصيات السياسية والعسكرية كثيراً ما تتناوبُ المناصبَ الكبرى في وول ستريت وواشنطون . وهكذا نرى الدوائر الحكومية تتولى زمام السلطة الاقتصادية في بعض الأوقات ، على حين تمارس البيوتات المالية الكبرى هذه السلطة ، بصورة مباشرة، في أوقات أخرى. أما السلطة العسكرية فتمارسها الحكومة عادةً ،

ولكن بعض الشركات الكبرى قد تمارسها احياناً بصورة مباشرة من طريق القوى المسلحة والحكومات المطواعة التي تقيمها في البلدان الخاضعة لسلطانها .

والحق ان ستراتيجية الولايات المتحدة الاستعمارية إنما أريد بها ان تحقّق أهدافها بأدنى ثمن ممكن وذلك من طريق تسخير الحلفاء، ورشوة الاعداء . إنها توجّه ضربتها ، في المحلّ الأول، الى جماعات الشعب العاملة والى الحركات التحرّرية الوطنية في البلدان المستعمَرة ونصف المستعمَرة . إنها تتحالف مع اكثر الطبقات رجعيةً في تلك البلاد ، ومع طبقة الاقطاعيين عادةً ، كما تتحالف مع الدول الاستعمارية المنافِسة لها أيضاً . واكثر هذه المحالفات استمراراً التحالف الانكليزي الاميركي الذي لعب دوراً بارزاً في الحرب الاسبانية الاميركية، وفي الحربين العالميتين الاولى والثانية، وفي السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية .

أشكال الحكم الاستعماري ونصف الاستعماري

يزعم المدافعون عن وول ستريت ان الولايات المتحدة ليست دولة استعمارية لأنها لا تملك امبراطورية استعمارية ضخمة كالامبراطورية البريطانية. وإنه في الواقع لدفاعٌ خاسر يحاول أن يخلط ما بين الشكل والجوهر . ذلك أن **جوهر** الاستعمار هو فَرْض السيطرة العسكرية والسياسية والاقتصادية على الشعوب المستضعفة . أما **أشكال** الاستعمار فتشمل ضم البلد المغلوب على أمره الى أراضي البلد الفاتح ، وإنشاء المستعمرات ، وإقامة الحكومات

المستقلة اسمياً والخاضعة للدولة الاستعمارية عملياً . وهـذا الضرب الاخير هو شكل الحكم نصف الاستعماري .

وهناك بين المستعمرات وأنصاف المستعمرات أشكال انتقالية مختلفة ، منها الانتداب ، والوصاية ، والدومنيون . وحتى الفارقُ الرسمي بين المستعمرات وأنصاف المستعمرات ليس كبيراً دائماً . وهكذا نجـد البريطانيين يلجأون في مستعمراتهم الى الاستعانة بالقوات الوطنية وبالامراء الوطنيين والمجالس المحلية ما دام هؤلاء دُمىً متحركةً في أيديهـم ، فِعْلَ الولايات المتحدة في أنصاف المستعمرات الخاضعة لها . بل إن شكل الحكم الاستعماري ليس دائماً اكثر استبداداً ولا أبشع استغلالاً من شكل الحكم نصف الاستعماري . ومن هنـا نرى أن الوَضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي لسكان **المستعمرات** البريطانية في جزائر الهند الغربية ليس عـلى التحقيق اسوأ من وَضع سكان **أنصاف المستعمرات** الاميركية في اميركة الوسطى وبحر الكاريبيان .

وليس من ريب في أن الولايات المتحدة عملت عـلى انتزاع المستعمرات بالقسوة نفسها الـتي تصطنعها الدول الاوروبية ، حيثما وجدَتْ ذلك مناسباً وميسوراً ، شأنَها في بورتو ريكو ، وهاوايي ، والجزر العذراء ، وآلاسكا ، ومختلف جزر المحيط الهادئ ، وحتى وقتٍ قريبٍ في الفيليبين . وبعـد الحرب العالمية الثانية فقدت الولايات المتحدة جزءاً من امبراطوريتها الاستعمارية نتيجةَ منحها « الاستقلال » للفيليبين ، ولكنها توسعت بالفعل ، بما ضمّت اليها من جزائر مختلفة في المحيط الهادئ ، وتوسّعت ، بالقوة Potentially ،

من طريق احتلالها المانية الغربية واليابان احتلالاً عسكرياً .

بيد أن الاستعمار الاميركي لم يلجأ ، في معظم البلدان التي خضعت له ، الى أشكال الحكم الاستعمارية ، لان شكل الحكم نصف الاستعماري المستقل" استقلالاً اسمياً أثبت انه اكثر مرونة" وأدعى الى اعطاء الاستعمار الاميركي ميزة" على الاستعمار الاوروبي المنافس . أضف الى ذلك ان امراء وول ستريت الاستعماريين اضطروا الى ان يُدخلوا في حسابهم تقاليد الشعب الاميركي الديموقراطية ، هذا الشعب الذي اشترى حريته بما سفك من دماء في حرب ثورية شنها على مستعمريه ؛ وان المزارعين والطبقات الوسطى من اهل المدن أخذت تقاوم ، في العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر ، سلطان وول ستريت وشركاته الاحتكارية الجشعة .

وهكذا آثر الاستعمار الاميركي ان يصطنع اشكالاً جديدة من الحكم الاستعماري وعمد رجاله الى تضليل الرأي العام فقالوا ان هذه البلاد، الولايات المتحدة، لا تطمع في مغانم اقليمية، ولكنها حريصة على رفاهية الشعوب الخاضعة لسلطانها ، ليس غير !

ومنذ الحرب العالمية الثانية وامراء وول ستريت يُفيدون إفادة خاصة من هذه النغمة اللا إستعمارية المضللة . إنهم يحاولون ان يتوسعوا ، تحت هذا القناع ، في كل مكان . وان واشنطون لتسعى الى استغلال حركة التحرير المضطرمة نيرانها في آسية كلها ، كما استغلت قبل خمسين سنة نزعات التحرر في المستعمرات الاسبانية .

ومن سنة ١٩٤٥ الى سنة ١٩٥٠ والخطة الاميركية الرئيسية

تقوم على مدّ المستعمرين الهولنديين والفرنسيين والبريطانيين بالمال والسلاح ابتغاء القضاء على حركات التحرر الوطني في المستعمرات في حين تقضي بالعمل من وراء حجاب على إنشاء حكومات «مستقلة» تنبري لانقاذ البلاد من الشركات الاستعمارية الاوروبية وإحلال الشركات الاميركية محلها . وقد استُعملت طرائق مشابهة في اوروبة التي غدت اليوم هدفاً مباشراً من اهداف وول ستريت الكثيرة .

حتى اذا كانت سنة ١٩٥٠ صار اصطناع هذه الاساليب أمراً اكثر صعوبة وأشد عُسراً . ذلك بان شعوب البلدان المعنية ما عادت تُخدع باقنعة الاستعمار على اختلافها . وفي آسية على الخصوص عزّزت هذه الشعوب تنظيمها وقوتها العسكرية ورفعت النضال التحريري الوطني في سبيل الارض ، والقدر الكافي من الطعام ، والاستقلال الصحيح الى درجة عجزت معها الحكومات العاملة بوحي الاستعمار عن الصمود في الميدان فاذا هي تبدو على حقيقتها من الافلاس والفساد . وهكذا دشنت اميركة خطة توسعية جديدة ، في كوريا ، فاستخدمت قواتها المسلحة ، تعاونها قوات الدول الاوروبية الاستعمارية ، بوصفها الأداة الرئيسية لفرض الاوضاع الاستعمارية وتخليدها أبدَ الدهر .

٢. امبراطورية وول ستريت . . .

•

كثيراً ما تُسمع في غرف اللجان البرلمانية بواشنطون شهادات صريحة حول الاحتكارات الضخمة والمشكلات التي يواجهها صغار التجار ، فينبري ممثلو الامة الى الهجوم على تلك الكتل الاحتكارية وأساليبها في العمل ، ويصوّرون المصير المحزن الذي ينتظر صغار التجار ، حتى إذا خُيّل لهم انهم أرضوا رغبات الرأي العام رجعوا الى جدول الاعمال فأقروا مجموعة من التشريعات الموحى بها من تلك التروستات نفسها . . .

ومهما يكن من أمر فان هذه المناقشات تمرّ مر الكرام باخطر ما تقوم به هذه التروستات الكبرى من نشاط ، أعني مناوراتها الدولية الخطيرة . فبينا تجد عدداً من رجال الكونغرس يخذلون هذه التروستات في بعض مشاريعها الداخلية نرى قليـلا منهم يجرأون على خذلانها في مصالحها الخارجية التي تُجلّل عادةً بالراية الاميركية . وعضو مجلس الشيوخ الذي يصوت ، يوم الاثنين مثلا ، ضد التروستات العملاقة هو نفسه الذي يعطي صوته ، يوم الثلاثاء ، لامبراطورياتها العالمية الواسعة باسم « المعونة الدولية » او « الدفاع الوطني » .

والواقع انه ليس في حقل « الشؤون الخارجية » او « السياسة العسكرية »ما لا يتصل بأخص مصالح الشركات المتكتلةوأجشعها. ففي جميع اجزاء العالم ، من تشيلي الى غواتيمالا ، ومن اليونان الى المانيـة ، ومن كوريا الى ليبـيريا ، حيث تتدخل الحكومة الاميركية عسكرياً او ديبلوماسياً باسم « الحرية » او « مقاومة الشيوعية » يكون الدافع الحقيقي هو النحاس او الفاكهة ، النفط او الصناعة الثقيلة ، الذهب او المطاط ...

والسذّج من الاميركيين الذين يعتقدون أننا لا نملك امبراطورية استعمارية ضخمة ينسون ان شركاتنـــا الاستثمارية تملك اضخم امبراطورية مالية عرفها التاريخ . وان الغرض الذي تهدف اليه سياسة الحكومة عندنا هو توطيد سلطانها السياسي وتوسيع رقعته لـكي تمكّن من وراء ذلك لهذه الامبراطورية المالية وتزيدهـــا قوةً وبَسْطةً .

وإذا كانت الصناعة الاميركية مصفدة بأغلال الاحتكار فأن تصدير رأس المال الى البلدان الاجنبية خاضعٌ لاحتكار أدهى وأمر. وتفصيل ذلك أن بضع مئات من الشركات تسيطر على الاقتصاد الوطني في داخل الولايات المتحدة . ولكنّ قلةً قليلة من هـذه الشركات تملك من القوة الاقتصادية والسياسية ما يمكنها من ان تنتزع ممتلكات اجنبية واسعة ، وتحصل عـلى الارباح الخاصة التي تنشأ عن انخفاض مستوى الأجور في المستعمرات والبلدان الاجنبية، وتتخلص من مزاحمة الشركات البريطانية والالمانية وغيرهـا من التروستات الاستعمارية وتهيمن على الحياة السياسية في بلدانٍ برمتها

كجزء لا يتجزأ من الخطة الرامية الى فرض السيطرة الاقتصادية عليهـــا .

ففي سنة ١٩٤٣ كانت ثمة مائة شركة اميركية كبرى تملك ٧٠٪ من موجودات مختلف المشروعات الخارجية التي تسيطر عليها الولايات المتحدة * . ولكنّ امواج السياسة الدولية كانت أعتى من ان تطيقها معظم هذه الشركات في ما بعد الحرب العالمية الثانية .

وفي سنة ١٩٤٧ استأثرت عشر شركات بتصدير مـا يزيد عـلى ٧٥٪ من الرساميل الجديدة الى البلدان الاجنبية ** .

وليس من ريب في ان حاجات هذه التروستات العشر ومطالبها مسؤولةٌ الى حدّ بعيد عن مختلف التطورات الـتي طرأت عـــلى السياسة الخـارجية الاميركية منذ انقضاء الحرب العالمية الثانية .

وإذن فمن الضروريّ ان ندرس المركز العالمي الذي تتمتع به كبريات الشركات الاميركية واقتسامها الصناعةَ والموارد العالمية في ما بينها وبين زميلاتها البريطانية والهولندية والفرنسية وغيرها .

وإنمـا يتجلّى اقتسام العالم وتوزّعه بـين التروستات الكبرى اوضح ما يتجلى في المواد الصناعية الأساسية : النفط والمعادن .

وهـــذه المنتجات ُتستَخرج (وتصفّى في بعض الاحيان) في المستعمرات وأنصاف المستعمرات ثم ُتحمل الى المراكز الامبراطورية حيث ُتعَدّ في اشكالها النهائية ومن ثمّ ُتباع في الاسواق العالمية .

---

* U. S. Treasury Dept., *Census of American-Owned Assets in Foreign Countries*, p. 29, 1947.

** U. S. Dept. of Commerce, *Survey of Current Business*, Nov., 1949, p. 20.

شركات النفط المتحدة تقتسم العالم في ما بينها

تحتلّ شركة ستاندرد أويـل (نيو جيرزي) أكبر جزء من امبراطورية روكفلر النفطية. وقد أنتجت هذه الشركة او سيطرت على خمس ما انتجه العالم الرأسمالي كله من النفط في سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٤٩ تقريباً . والحقّ انها اصدرت سنة ١٩٤٩ خريطةً للعالم تمثل مناطق إنتاج النفط الاربع عشرة الـتي تهيمن عليها ، ومواقع مصافيها الاربعين ، وعدداً لا يُحصى من اسواقها الواسعة. وقد تعجب اذا علمتَ ان المناطق المظلّلة باللون الأخضر والتي ترمز الى اسواق هذه الشركة العالمية تمثّل مواطن يبلغ مجموع سكانها ١،٦٧٠،٠٠٠،٠٠٠ نسمة أي ٧٢ ٪ من مجموع سكان العالم كله . واذا استثنينا من هذه الرقعة الجزء الاكبر من الصين وشمالي كوريا، بلغ مجموع سكان الاسواق التي تسيطر عليها شركة ستاندرد اويل اوف نيو جيرزي ١،٢٦٢،٠٠٠،٠٠٠ نسمة او ٨٠٪ من السكان في العالم الخاضع لسلطان الرأسمالية .

واليك فيما يلي جدولاً بيانياً باسواق هذه الشركة الهائلة ونسبتها الى اسواق الشركات الرأسمالية مجتمعةً ، كما كانت سنة ١٩٤٩ :

عدد السكان (بالملايين)

	مناطق شركة ستاندرد أويل	مجموع مناطق الشركات الرأسمالية	حصة ستاندرد أويل من المجموع
اميركة الشمالية بكاملها	١١٣	٢٠٦	٥٥ بالمئة
الولايات المتحدة وحدها	٧٤	١٤٤	٥٢ «
اميركة الجنوبية	٩٦	١٠٣	٩٣ «
أوروبة	٢٣٩	٢٩٧	٨٠ «

	مناطق شركة ستاندرد أويل	مجموع مناطق الشركات الرأسمالية	حصة ستاندرد أويل من المجموع
آسية	٧١٨	٧٦٧	٩٤ بالمئة
اوقيانوسية	١٢	١٢	١٠٠ »
إفريقية	٨٤	١٨٨	٤٥ »
العالم (الرأسمالي)	١٢٦٢	١٥٧٣	٨٠ »

ولا تنفرد شركة ستاندرد أويل بحق العمل في معظم هذه المناطق. فهي تتقاسمها مع واحدة او اكثر من التروستات الأخرى، على اساسٍ من توزّع الاسواق وتحديد الأسعار بالاتفاق. والواقع ان العالم الرأسمالي تكاد تتوزّعه كله سبعٌ من تروستات النفط، يملك آل روكفلر ثلاثـــاً منها، ويملك « ميلون » Mellon واحدة، وتملك الخامسة شركاتٌ اميركية اخرى، اما السادسة فبريطانية، واما السابعة فبريطانية هولندية. ✲

وقد تنفرد كل من هذه التروستات في العمل حيناً. فشركة ستاندارد اويل (نيوجيرزي) مثلا تسيطر على انتاج البترول في كولومبيا بواسطة شركة مساعدة هي التروبيكال أويل كومباني. وقد تنهض ببعض المشروعات الاخرى شركات خاصة تندمج فيها مصالح اثنتين او اكثر من الكتل السبع الكبرى. وهكذا فان امتياز النفط في المملكة العربية السعودية تملكه شركة البترول

✲ وهذه التروستات السبع هي : (١) ستاندارد اويل اوف نيو جيرزي (روكفلر) (٢) شركة شل (رساميل هولندية بريطانية) ؛ (٣) شركة النفط الانكلو ايرانية (بريطانية) ؛ (٤) شركة سوكوني فاكيوم (روكفلر) ؛ (٥) شركة تكساس (روكفـلر، ومورغان، وغيرهما) ؛ (٦) ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا (روكفلر وغيره) ؛ (٧) شركة نفط الخليج (ميلون).

العربية الاميركية (آرامكو) التي تسهم فيها اربع من شركات الولايات المتحدة الكبرى * وهذه الشركات الاربع تجتمع مع مجموعة شل الهولندية في شركة خاصة تملك امتياز النفط في غينيا الجديدة . في حين تجتمع شركة نفط الخليج وشركة النفط الانكلو ايرانية في شركة بترول الكويت .

وفي سنة ١٩٣٩ كانت هذه الشركات السبع تهيمن على ثمانين بالمائة من مجموع انتاج البترول خارج الولايات المتحدة والمكسيك والاتحاد السوفياتي . وقد تعاظمت حصتها منذ ذلك الحين .

شركات المعادن الدولية

وتتوزع انتاجَ النحاس في العالم الرأسمالي ثلاث شركات اميركية كبرى وعدد من الشركات البريطانية والبلجيكية . اما الثلاث الاميركية الكبرى (شركة آناكوندا للنحاس Anaconda Copper وشركة كنيكوت للنحاس Kennecott Copper وشركة فلبس دودج Phelps Dodge) فتسيطر على ثلاثة ارباع احتياطي النحاس في الولايات المتحدة ، وعلى ثُلث النحاس في العالم الرأسمالي خارجَ الولايات المتحدة .

ويؤخذ من تقرير اصدرته لجنة التجارة الفدرالية ان ثمة ستة رجال « يسيطرون بصورة مباشرة او بصورة غير مباشرة على سياسة انتاج النحاس العالمي وتقرير اسعاره » ** واليك اسماء هؤلاء

---

* هي ستاندرد اويل (كاليفورنيا) وشركة تكساس ، وستاندرد اويل (نيو جيرزي) ، وشركة سوكوني فاكيوم .

** *Report of the Federal Trade Commission on the Copper Industry*, pp. 174 ff.,1947.

الرجال الستة والشركات التي يمثلونها :

كورنيليوس كيلي (شركة آناكوندا) ؛ **إ. ت. ستاّنارد** (شركة كنيكوت) ؛ **فرد سيرلز الصغير** (خبير شركة مورغان في التعدين والنفط ، ونائب رئيس شركة نيومونت للتعدين) ؛ **آ. تشاستر بيتي** (مناجم النحاس الروديسيّة) ؛ **روبرت ستانلي** (شركة النيكل الدولية) ؛ واخيراً **لويس كايتس** (شركة فلبس دودج) .

وهؤلاء الرجال يتنافسون على انتزاع حصة الأسد ، ولكنهم يلتقون ويتعاونون على استغلال العمال الذين ينتجون النحاس ابشع ما يكون الاستغلال ، وعلى إقامة العراقيل في وجه جميع الدخلاء الراغبين في ان تكون لهم حصة في ذلك الاستثمار .

وخمسة من هؤلاء الرجال الستة اميركيون ، وواحدٌ بريطاني (آ. تشاستر بيتّي) . وهذا دليلٌ لا يُتَّهَم على ان وول ستريت يسيطر على شركات النحاس الدولية سيطرةً شبه كاملة . واذا كان آل روكفلر يسيطرون على النفط فأنّ بيت مورغان الماليّ هو المسيطر على صناعة النحاس . فمنذ سنة ١٩٤٥ ومورغان وشركاؤه والمصارف المتحالفة معه يملكون ستّ عشرة مديرية في شركات النحاس الكبرى في حين يملك الـ « تشايس ناشيونال بنك » الذي تسيطر عليه مجموعة روكفلر سبع مديريات ليس غير .

ومَثَلُ « فرد » سيرلز الصغير ، احد الرجال الستة الذين اشرنا اليهم آنفاً ، يصوّر لك مدى اندغام الحكومة الاميركية بالشركات الاستثمارية والمصارف الكبرى . ففي أثناء الحرب العالمية الثانية

كان هذا الرجل يحتلّ عدة مناصب رئيسية تهمّ بيت مورغان الماليّ الى حدّ بعيد . وكان احدها منصب « مستشار الانتاج » لجيمس برنز الذي كان يومذاك مديراً لمكتب التعبئة الحربية . وفي سنة ١٩٤٦ عندما اسندت وزارة الخارجية الى المستر برنز فزع زعماء افريقية الجنوبية الغربية الى منظمة الامم المتحدة والتمسوا مساعدتها في صراعهم للتحرّر من نير المستعمرين العِرْقيين في جنوبي إفريقية. فما كان من مندوبي الولايات المتحدة في تلك المنظمة الا ان قاموا بحملةٍ تخريبية حالت دون نصرة الزعماء الافريقيين . وقد كافأت حكومة جنوبي إفريقية المستعمرين البريطانيين والاميركيين على موقفهم ذاك بان عهدت اليهم في استثمار مناجم النحاس الغنية في جنوب غربي إفريقية ، وكانت تستثمرها من قبلُ شركةٌ المانية صُودرت اثناء الحرب العالمية الثانية . اما حصة بيت مورغان الماليّ وشركة نيومونت للتعدين * فكانت ثُلثي الأسهم ليس غير ... ومن طريق توظيف مليون دولار نقداً في هذا المشروع استطاع المساهمون البريطانيون والاميركيون الجُدُد ان يجْنوا ارباحاً صافية بلغت تسعة ملايين دولار في ثلاث سنوات ... وفي سنة ١٩٤٧ ترك جيمس برنز وزارة الخارجية ، وما هي الا فترة قصيرة حتى عُيّن مديراً لشركة نيومونت للتعدين !

وهذا التعقيد الذي نراه في تنظيم احتكار النحاس العالمي لا اثر له في احتكار النيكل . فهناك شركة واحدة ، هي شركة النيكل الدولية ، تنتج خمسة اسداس النيكل في العالم الرأسمالي كله. وبدلاً

---

* اللذين يعمل فرد سيرلز لحسابهما .. [المعرب]

من ان تنبري سائر المجموعات الاميركية والبريطانية والكندية الى تنظيم شركات مستقلة، نراها توازن قواها من طريق امتلاك الاسهم والتنافس على المديريات في هذه الشركة المفردة. وهنا ايضاً تحظى الولايات المتحدة بالنصيب الأكبر من الغنيمة. ففي اواخر سنة ١٩٤٩ كان الاميركيون يحتلون رئاسة اللجنة التنفيذية لشركة النيكل الدولية وسبعة مقاعد من تسعةٍ تتألف منها هذه اللجنة. والواقع ان جون فوستر داليز احد الكواكب اللامعة في السياسة الخارجية الاميركية منذ انقضاء الحرب العالمية الثانية هو مدير اللجنة التنفيذية لشركة النيكل الدولية واحد اعضائها، ورئيس مكتب سوليفان وكرومويل القانوني الذي تعتمده الشركة وتستشيره في كلّ مُهمّ من امرها.

اما الالومنيوم فتستبدّ به مجموعة رأسمالية واحدة هي اسرة ميلون Mellon . وهذه الشركة العائلية (شركة الالومنيوم الاميركية Aluminum Corp. of America وتعرف اختصاراً باسم آلكووا Alcoa) تُسيطر على القسم الاعظم من إنتاج الالومنيوم العالمي من طريق سيادتها المطلقة على هذا الميدان، في الولايات المتحدة وكندا، وسلطانها على الشركات النرويجية والايطالية، وامتلاكها لحقول مادة البوكسيت في غينيا البريطانية والهولندية، وفي يوغوسلافية وفرنسة. وتعاظمَ نموّ «آلكووا» تعاظماً هائلاً اثناء الحرب العالمية الثانية عندما اخذ انتاج الطائرات الحربية يستهلك مقادير قياسيةً من الألومنيوم. وفي الوقت نفسه أزيحت من الميدان، موقتاً، منافستها العالمية الرئيسية أعني تروست الألومنيوم الألمانية.

والواقع ان انتاج شركة «آلكووا» تضاعف ثلاث مرات في ما بين سنة ١٩٣٩ وسنة ١٩٤٨ ، وان حصتها من مجموع انتاج العالم الرأسمالي ازدادت من ٤٠ ٪ الى ٦٥ ٪ ،على الرغم من ان شركتين جديدتين ، كايزر Kaiser ورينولدس Reynolds ، اقتحمتا ميدان انتاج الألومنيوم في الولايات المتحدة . وبانشاء هاتين الشركتين صارت الرساميل الاميركية تهيمن على نحو ٨٥ ٪ من مجموع انتاج الألومنيوم الأولي في العالم الرأسمالي .

الأمبراطوريات الصناعية

ولكن سلطان الشركات الاميركيـة الكبرى في البلدان الاجنبية ليس مقصوراً على استخراج المواد الخام وإعدادها للاستهلاك إعداداً اولياً ، فالاحتكارات الصناعية الضخمة تُغرق أسواق العالم بمنتجاتها أيضاً. والواقع ان مصانع فورد وجنرال موتورز أخرجت وحدها ٤٠ ٪ من مجموع انتاج السيارات في العالم الرأسمالي كلـه، **باستثناء** الولايات المتحدة، سنة ١٩٤٨. ولجميع المصانع الاميركية الكبرى تقريباً مصانع فرعية منثورة في طول العالم الرأسمالي وعرضه.

والمركز المتفوق الذي تحتله مجموعـــة مورغان في الصناعات الكهربائية بالولايات المتحدة - ابتداء من الراديو الى مولد الطاقة ومن البراد الى التلفون معروف مشهور . وهذه الامبراطورية تنتظم العالم بأسرهِ أو تكاد .

وواسطة العقد في امبراطورية مورغان العالميـة هي شركة جنرال اليكتريك ،أقوى التروستات الاميركية في ميدان الكهرباء.

والواقع أن" هذه الشركة العملاقة تملك ما يتراوح بين ١٥ ٪ و٤٩ ٪ من اسهم الشركات الكبرى المنتجة للمعدات الكهربائية في اليابان ، وألمانية ، وفرنسة، ومراكش ، وانكلترة، وايطالية. كما تملك نسباً أخرى متفاوتة من أسهم الشركات المنتجة للمعدات الكهربائية في النمسا ، وبلجيكة ، وتشيلي ، وهولندة ، واسبانية، والسويد ، وتركية . أما في الارجنتين ، والبرازيل ، والمكسيك واوروغواي ، وجنوبي افريقية ، والصين فتملك مصانع لانتاج المعدات الكهربائية لا يشاركها فيها احد .

ولا يزال توسع « جنرال ايلكتريك» الخارجي ينمو في اطراد. وقد بلغت الرساميل الجديدة التي وظفتها في البلدان الخارجية خلال السنوات الاربع التي عقبت انتهاء الحرب العالمية الثانية ٨٥ مليون دولار . (نحو ربع مجموع الاموال التي وظفتها الشركة في تلك المدة نفسها .)

نظام المحالفات الدولية الاقتصادية

لقد درسنا الى الآن اقتسام ملكية المشروعات الصناعية من طريق تصدير الشركات الكبرى لرأس المال. فلننظر هنا في ظاهرة جديدة من ظواهر الاستعمار البارزة وهي اقتسام اسواق العالم الرأسمالي من طريق نظام المحالفات الاقتصادية الدولية Cartel System . وقد تختلف هذه المحالفات في طرائقها ولكنها تلتقي جميعاً عند أصول ومبادىء لا تعدوها .

أما اول هذه المبادىء فالاحتفاظ بأسعارٍ احتكارية مرتفعة .

وثانيها احتكار الاسرار التقنية technical في ما بين الشركات التي تنتظمها المحالفة . وثالثها تعديل الانتاج من طريق أنصبة (كوتا) متفقٍ عليها ومبنيةٍ على اساسٍ من حالة الاسواق في العالم الرأسمالي . اما رابع هذه المبادىء فتقسيم الاسواق تقسيماً إقليمياً يجعل من هذه المنطقة او تلك سوقاً تستقل به بعض الشركات الوطنية ، ويوزع مناطق البيع في الاسواق الاخرى .

وفي ميسورك ان تكوّن فكرةً عن الارباح التي جنتها التروستات الاميركية من طريق المحالفات الاقتصادية الدولية المعقودة بعد الحرب العالمية الثانية إذا علمت ان شركة * الهندسة والسبك المتحدة في بيتسبورغ ** – وهي تقع ضمن دائرة نفوذ « ميلون » ولكنها متصلة ايضاً بأحد المصارف النيويوركية التي يسيطر عليها مورغان – هي اكبر التروستات التي تقتسم في مابينها اسواق الفولاذ في العالم ، وانها عقدت سنة ١٩٤٧ اتفاقات مع الشركات الاجنبية المنافسة انحدرت بهذه الشركات الى مرتبة وكيل يبيع لحساب شركة الهندسة والسبك المتحدة ، لقاء عمولةٍ معينةٍ في معظم بلدان العالم ، ولكنها أذنت لها في ان تبيع منتجات من صنعها هي في مناطق محدودة جداً ، شرط ان تدفع الى شركة الهندسة والسبك ضريبةً عن هذه المبيعات ...

ومثل هذا الوضع كان قائماً ، قبل الحرب العالمية الثانية ، في صناعة المعدات الكهربائية . فقد ابتلعت شركتا جنرال ايلكتريك

---

* United Engineering and Foundry Companyof Pittsburgh.

** بيتسبورغ مدينة في بنسلفانيا مشهورة بصناعة الحديد والفولاذ. [المعرب]

(مورغان) ووستنكهاوس (مليون - روكفلر) سائر الشركات المنافسة لهما في الولايات المتحدة وقسمتا السوق المحلية في ما بينهما.. ليس هـذا فحسب بل لقد وظفتا رساميل كبيرة خارج الحدود الاميركية وقاسمتا الشركات الاجنبيـة اجزاء كبيرة من السوق العالمي. وفي سنة ١٩٣٠ تمّ اقتسام الاسواق في العالم الراسمالي من طريق محالفةٍ اقتصادية دولية Cartel عقدت بين تسعٍ من شركات المعدات الكهربائية العالمية وعلى رأسها الشركتان الاميركيتان العملاقتان ...

ولكن ما المعاني التي تستفاد من هذا كله ؟

يستفاد من هذا **أولاً** ،أن المعدات الكهربائية الثقيلة لا يمكن ان تشترى في ايما بقعةٍ من العالم الرأسمالي من غير ان يدفع المشتري الجزية الخاصة التي تفرضها شركات الاحتكار التسع . **ثانياً** ، ان القوى الرأسمالية التي تقف من وراء الشركات الكهربائية في كلٍ من البلدان الاستعمارية تملك قوة النقض او « الفيتو » في ما يتصل بتطوير الطاقـة الكهربائية وبالصناعات المسيرة بها في اقطار العـالم الرأسمالي قاطبة . **ثالثاً** ، ان لمؤسسة مورغان ، بفضل مركزهـا الخاص ، وتداخلها العريض في الشركات الاخرى ، وسيطرتهـا العارمة على براءات الامتياز ،الصوت الأعلى في هذا الاحتكار ...

فاذا رغب نفرٌ من اهل البرازيل مثلاً في أن يقيموا منشآت لتوليد الطاقة الكهربائية فيتعـيّن عليهم أن يشتروا المولدات والتربينات turbines من الشركات المنتظمة في هـذا الاحتكار الدولي ، ويدفعوا اليها الجعالة الدائمة التي تفرضها عليهم ، ويعهدوا في إقامة

هـذه المنشآت الى مؤسساتٍ هندسية تربطها بشركات الاحتكار رابطـة نسبٍ أو قـُرْبى . ليس هذا فحسب ، بل يتعـيّن عـلى اولئك البرازيليين أيضاً أن لا ينتهجوا أيما سياسةٍ قد تعود بأذىً جديّ على مصالح شركات الاحتكار في البرازيل ...

فاذا رغب البرازيليون في اجتناب الوقوع في هذا الشرك ففي ميسورهم أن يفزعوا الى شركة جنرال ايلكتريك البريطانية التي تملك الرساميل الاميركية ٤٠ بالمائة من اسهمها ، أو الى شركة جنرال ايلكتريك الالمانية التي تبلغ حصة الرأسماليين الاميركيين ١٨ بالمائة من اسهمها ليس غـير ! ... وحيثما تلفّت اولئك البرازيليون فلن يقعوا إلا على شركات خاضعةٍ إما لسيطرة جنرال ايلكتريك أو لسيطرة وستنكهاوس ...

امبراطورية المصارف

وكما تقف المصارف الكبرى من وراء الاحتكارات الصناعية في الوطن ، كذلك تشارك في النشاط الاقتصادي الذي تقوم به الشركات الاميركية في مختلف البلدان الأجنبية . وإنما تلعب هذه المصارف دور المُغْري بالتوسع الخارجي ، المُفاوِض من اجل تحقيقه . والواقع ان اصحاب مصارف التوظيف كانوا ، قبل عام ١٩٣٠ ، يقرضون المشروعات الأجنبية ويروّجون لها بصورة مباشرة ، ولكنهم فرضوا سيطرتهم منذ الحرب العالمية الثانية على أدوات اكثر فعاليةً . وليس من ريب في ان كل سَنْتٍ (فلس) من القروض الهائلة التي تعقدها الولايات المتحدة مع

البلدان الأخرى أو التي تُقدّم الى هذه البلدان من طريق البنك الدولي إنما يقدّمها في الواقع أصحاب مصارف التوظيف الكبرى في اميركة . ولعلك تعجب إذا علمت أَن ممثلي أصحاب المصارف هؤلاء، المباشرين ، يحتلون المناصب الرئيسية في وكالات الأقراض والتسليف ، وأن رجالهم يديرون بأنفسهم وزارة المالية الاميركية وانهم قد انشأوا لجنة استشارية لتوجيه الحكومة في القضايا المالية الدولية ...

وفوق ذلك كله تشارك المصارف الاميركية ، مباشرةً ، في مشروعات التوظيف المالي في الخارج . والحق ان للمصارف الأميركية الأربعة الكبرى : **ناشيونال سيتي** * ، **وتشايس ناشيونال** (روكفلر) **وغارانتي تروست** (مورغان) ، **وبنك اميركة** (جيانيني) ، فروعاً كثيرة خارج الولايات المتحدة ، وانها تتمتع بالنفوذ الأقوى في ميدان النشاط العالمي الذي تقوم به الرساميل الأميركية

الامبراطورية الاقليمية

والحق أن تقسيم العالم ما بين الكتل الصناعية والمالية يجري جنباً الى جنب مع تقسيم العالم الرأسمالي تقسيما جغرافياً الى امبراطوريات استعمارية تخضع كل منها ، اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً ، لمركزٍ معين من مراكز القوة والسلطان . واليك

---

* ولمورغان أعظم السيطرة على هذا المصرف الضخم الذي يبلغ عدد فروعه واحداً وخمسين فرعاً منشورة في أرجاء العالم . [المؤلف]

فيما يلي خريطة تقريبية للامبراطورية الاميركية . وقد اجتزأنا فيها بذكر البلدان التي رسخت فيها السيطرة الاميركية الاستعمارية رسوخاً جعل مرافقها القومية المهمة ملكاً للرساميل الاميركية او خاضعة لسلطانها . أما النجوم فتشير الى البلدان التي اعتبرها البروفسور توماس باركرمون Moon منذ سنة ١٩٢٦، جزءاً من الامبراطورية الاميركية ، في كتابه الموسوم بـ « الاستعمار والسياسة العالمية . »

الامبراطورية الاميركية سنة ١٩٥٠

	عدد السكان سنة ١٩٤٧ (بالملايين)	التروستات الاميركية او المرافق التي تسيطر عليها
ألاسكا *	٠،١	شركات صيد الاسماك
كندا	١٣	شركات مختلفة
غرينلند	٠،٠٢	شركة « آلكووا »
كوبا *	٥	تروستات السكر
المكسيك	٢٣	معادن مختلفة
ثمانية بلدان صغرى في اميركة الوسطى * وبحر الكاريبيان	١٥	شركة الفاكهة المتحدة ناشيونال سيتي بنك
بورتوريكو *	٢	تروستات السكر
فنزويلا	٤	ستاندارد اويل (نيوجيرزي)
كولومبيا	١١	ستاندارد اويل (نيوجيرزي)
بيرو	٨	و.ر. غرايس (النقل البحري) سيرو دي باسكو (النحاس)
شيلي	٦	شركة آناكوندا وشركة كنيكوت (النحاس)
بوليفيا	٤	شركة المعادن الاميركية (الصفيح)
البرازيل	٤٨	شركات مختلفة

غينيا (الهولندية والبريطانية)	١	شركة آلكووا (البوكسيت)
هوايي *	٠،٥	شركات السكر
الفيليبين *	٢٠	شركات مختلفة
العربية السعودية والبحرين	٦	اربع شركات كبرى للنفط
تركية	١٩	الكروميت
اسرائيل	١	شركات مختلفة
اليونان	٨	التبغ
ليبيريا	٢	شركة فايرستون للمطاط، شركة الفولاذ الجمهورية
مجموع السكان	١٩٧	

وفي خمسة بلدان اخرى على الاقل نما النفوذ الاميركي نمواً كبيراً ، وشرعت الرساميل الاميركية تزحزح الرساميل البريطانية وغيرها عن مكانتها :

	عدد السكان (بالملايين)
الارجنتين	١٦
أسبانية	٢٨
مصر	١٩
طايلند	١٧
يوغوسلافية	١٦
مجموع السكان	٩٦

ولليابان (٧٨ مليون نسمة) والمانية الغربية (٤٨ مليون نسمة) وضعٌ خاص . فالقوات الاميركية المسلحة تحتل هذين البلدين، والرساميل المالية الاميركية تسيطر على تجارتهما الخارجية. وقد وظفت شركات الولايات المتحدة أموالاً ضخمةً فيهما منذ انقضاء الحرب العالمية الثانية . ولكن اليابان والمانية الغربية بلدان متطوران ، لا يزال ابناؤهما يملكون معظم الصناعات الاساسية . والنضال الشعبي ضد الاحتلال الاجنبي في كلا البلدين قويٌّ الى

درجة حملت وول ستريت على التردد في بسط إشرافه المباشر على مرافق الاقتصاد الحاسمة . ومن هنا فأن الحكم الاستعماري الأميركي لما تُوَطّدْ أركانه توطيداً كاملاً في هذين البلدين .

وهكذا نستطيع ان نُجمل في ما يلي مناطق السلطان الاستعماريّ الاميركي كما تبدو سنة ١٩٥٠ ، آخذين بعين الاعتبار اختلاف ظلال السيطرة ودرجاتها :

	عدد السكان سنة ١٩٤٧ (بالملايين)
الولايات المتحدة الاميركية	١٤٤
بلدان تسيطر الولايات المتحدة على مرافقها الاقتصادية سيطرة تامة .	١٩٧
بلدان في سبيلها الى الخضوع للسيطرة الاميركية .	٩٦
بلدان تحتلها الولايات المتحدة احتلالا عسكرياً ، ولكن حكمها الاستعماري لم توطد أركانه فيها .	١٢٦
مجموع سكان الامبراطورية الاميركية ، بمعناها الواسع .	٥٦٣

والحق أن سكان بريطانية ومنطقتها الأسترلينية يبلغ عددهم اكثر من هذا الرقم بقليلٍ . ولكن من الخطأ ان نستنتج من ذلك أن الامبراطورية البريطانية اكبر من الامبراطورية الأميركية . ذلك بأن قبضة الاستعمار البريطاني هي اليوم أضعف مما كانت أمس . وإن عدداً من البلدان التي تشكل أجزاء رئيسية في تلك الامبراطورية بسبيل الانفصال عنها أو الانضواء تحت راية الاستعمار الأميركي الاقوى . وفي بعض المناطق البريطانية

الأخرى يتصدّر الرأسماليون الأميركيون لمشاركة زملائهم الغنيمة في نسبٍ متزايدة ، وهو وضعٌ لا نجد ما يقابله في الامبراطورية الأميركية .

وهكذا نرى ان الامبراطورية الاميركية هي اليوم ، في الواقع ، أوسع واقوى امبراطورية استعمارية على ظهر هذا الكوكب . وأن نحواً من ثلث سكان العالم الرأسمالي ليعيشون ضمن نطاقها . وأياً ما كان فأن منطقة نفوذ رأس المال الاميركي أوسع من ذلك أيضاً . فهي تشمل جميع بلدان اوروبة الغربية المنتظمة في مشروع مارشال ، ومستعمرات هذه البلدان وأنصاف مستعمراتها . وليس من ريب في أن نفوذ اميركة العسكري والاقتصادي آخذٌ في التعاظم على تفاوت في القوة والسرعة ، في جميع هذه الأمصار . وكلما ازداد تورُّطُ العناصر التي تحكم تلك البلاد في مشروع مارشال ، والحلف الأطلسي ، وإعداد العدّة لحرب عالمية ثالثة انتهت حرية التصرف عندهم إلى أن ترسف في قيودٍ أشدّ ، وأغلالٍ أثقل .

وهذه المناطق ، اذا ما اضيفت الى بلدان الامبراطورية الاميركية نفسها ، تؤلف العالم الرأسمالي بقضّه وقضيضه .

٣ . وول ستريت ومأساة الزنوج ...

•

يبتزّ الاستعمار الاميركي اليوم ارباحاً ضخمةً من اجزاء العالم الرأسمالي جميعاً . ولكن الركن الاساسي الذي تقوم عليه ارباح وول ستريت الفاحشة ، والذي يدر على امراء هـذا الحي المالي عائداتٍ تفوق تلك التي يجنونهـا من ايما بلدٍ اجنبي منفرد ، هو اضطهاد الشعب الزنجي في الولايات المتحدة نفسها .

والواقع ان مكاسب عديدةً تمت للزنوج في السنوات التي تلت الحرب الاهلية مباشرةً . فقـد احتل ممثلوهم عدداً من مقاعد الكونغرس ، واشتركوا في مجالس الولايات التشريعية ، وأسهموا مع حلفائهم البيض في إدارة عددٍ من حكومات الولايات الجنوبية . لقد قاتلوا من اجل ملكية الارض ، وحق التصويت ، وحق حمل السلاح ، وحق التعليم ، وضد ضروب الأيثار والتمييز على اختلاف اشكالها .

ولكن هذه الثورة الاميركية الثانية لم تُستكمل . وهي لن تبلغ كمالها إلا حين تتم للزنوج ملكية الارض التي حرثوهـا طوال اجيالٍ عديدة ، وبذلك يتوفر لهم اساس اقتصادي لتحقيق تحررهم الرسمي من العبودية . والذي لا ريب فيـه ان الصناعيين من اهل

الشمال ، الذي سيطروا على الحكومة الفدرالية في عهـد الحرب الاهلية، لم يكونوا راغبين في تحرير الشعب الزنجي تحريراً صحيحاً. كل ما كانوا يسعون بسبيله هو ان يحلوا محل مالكي العبيد الجنوبيين في استغلال الشعب الزنجي اقصى مـا يكون الاستغلال . والحق ان النهج السياسي الذي اتبعه الحزب الجمهوري والجيش في الولايات الجنوبية كان تحالفـاً مع مالكي العبيد السابقين لأخضاع الشعب الزنجي من جديـد . اما النهج الاقتصادي الذي اختاره فكان يهدف الى منع الشعب الزنجي من امتلاك الأرض ، وإقامـة نظام الانتاج على اساس جديد تكون حصة الاسد فيه لأصحاب المصارف والمصانـع والتجار من اهل الشمال ، في حين يكون مالكو الاراضي الجنوبيون شركاء ثانويين ومناظرين عاديين .

وقـد بلغت هذه العملية اوجها خلال العقد الاخير من القرن التاسع عشر عندمـا وجد ضغط الاحتكارات المصرفية والصناعية ، لأول مرة ، متنفّساً كبيراً له في الجنوب . وفي هـذا العقد على الخصوص والسنوات التي تلته مباشرةً رُفعت القواعد للتنكيل بالشعب الزنجي في الجنوب .فوضعت دساتيرُ للولايات جديدةٌ على اساس التمييز ما بـين السود والبيض ، وطُرِد الزنوج من مجالس الحكومات المحلية ومن الكونغرس الاميركي . وسُجّل في مدى ثلاث عشرة سنة نحو الفي حادثةٍ من حوادث الاعدام غير المشروع الذي أنزل بالزنوج ظلماً وعدواناً .

وسار اخضاع الشعب الزنجي ، اقتصادياً ، مـع حملة الارهاب والتنكيل جنبـاً الى جنب . فما هي الا فترة حتى أبعد العمال

الزنوج عن الاعمال ذات الرواتب العالية وحيل بينهم وبين بعض الصناعات بالكلية (المنسوجات القطنية مثلاً) . فالتمسوا الرزق من طريق القيام بأعمال البناء الشاقة ، والالتحاق بالمناجم . واتخذت إجراءات خاصة للحؤول بين الزنوج وامتلاك المزارع ، ولفرض العبودية الزراعية والعمل الصناعي ذي الاجر الضئيل على اكبر عددٍ منهم .

وفي الوقت نفسه ضيق اصحاب المصارف والاحتكارات الصناعية الشمالية الخناق على الحياة الاقتصادية الجنوبية لكي يبتزوا الارباح الفاحشة من الشعب الزنجي المضطهد . فعززوا صناعة الفحم والحديد والفولاذ والقطن والتبغ ووسعوا شبكة السكك الحديدية واخضعوا ذلك كله ، على تفاوت في الدرجة ، لسلطان رأس المال الشمالي . وفي السنوات التالية تضاعفت الاموال الشمالية الموظفة في اصقاع الجنوب وامتدت الى صناعاتٍ جديدةٍ - كالنفط ، والطاقة الكهربائية ، والحرير الصناعي والمواد الكيميائية - امتداداً عجيباً جعل انصبة الشماليين فيها اكبر من انصبتهم في الصناعات القديمة نفسها .

وهكذا حُوّل الجنوب ، عملياً ، الى نصف مستعمرة لوول ستريت ، وانتهى الزنوج الى ان يكونوا عمالا شبه مسخرين في تلك المستعمرة .

ومع الايام ازداد عدد الزنوج واشتدت حاجة المصانع الشمالية وبخاصة ايام الحروب ، الى العمال . فشُجع ملايين من الزنوج على الانتقال الى الشمال حيث انزل بهم اقطاب المال انفسهم ضروب

الاضطهاد والاستثمار عينها ، ولكن باشكالٍ اقلّ وضوحاً من تلك التي عرفوها في الجنوب .

استغلال الزنوج استغلالاً فاحشاً

والشعب الزنجي ، كالشعوب المستعمَرة ، لا يملك صناعةً ما ، وليس له غير نصيب ضئيل جداً في ملكية رأس المال باي شكلٍ من أشكالها . ومع ذلك فهو يقدّم مقداراً غير متوازنٍ من العمل الثقيل الذي تجني منه الرساميل الأميركية أرباحها الأسطورية . فنحو ثلاثة أرباع العمال الذكور غير البيض كانوا يعملون في سنة ١٩٤٠ كزرّاع او عمال او مستخدمين . اما العمال البيض في هذه الحقول فبلغت نسبتهم الثُلث تقريباً .

وهكذا فأن طُفيليّة الحياة الاميركية المتعددة الجوانب التي تعتنق عدة ملايين من السكان ، واجور العمال الفنيين المرتفعة نسبياً إنما تنهض الى حدٍ غير يسير على كدح الشعب الزنجي القاصر للظهور في المزارع والمدن .

وفي سنة ١٩٤٧ بلغ متوسط دخل العامل الابيض ١٩٨٠ دولاراً سنوياً ، في حين بلغ متوسط دخل العامل غير الابيض ٨٦٣ دولاراً ، أي ٤٣،٦ ٪ من دخل زميله الأبيض . *

وهذا الفرق الذي ينيف على ١١٠٠ دولار يمثل مقدار الدخل الاضافي والارباح الفاحشة التي يبتزها اصحاب العمل من العامل

* U. S. Dept. of Commerce, Report P - 60, *Incomes of Families and Persons in the United States*, 1947, table 22, p. 29.

الزنجي المتوسط زيادةً على الارباح السوّية normal التي يجنونها من العامل الابيض . والواقع ان الدعاية البيضاء تزعم ان الزنجي دون زملائهِ البيض مقدرةً وبراعة، وأنه أقلّ منهم انتاجاً، ومن أجل ذلك فهو غير جدير بأن ينال ما ينالون من أجور مرتفعة نسبياً ... وليس من ريب في ان الشعب الزنجي لايتمتع بفرصٍ للتربية متكافئة مع تلك التي يتمتع بها البيض . وحتى الثقافة التي يُوفّق الزنوج الى اكتسابها في بعض الأحيان لا تغني عنهم شيئاً ، من هـذه الناحية . فالاحصاءات الحكومية تُظهر أن الاميركي الابيض الذي درس أربع سنوات أو خمس سنوات في الجامعة يبلغ متوسط دخله السنوي ٢٠٤٦ دولاراً ، في حين أن الاميركي الزنجي الذي أتم مراحل الدراسة نفسها يبلغ متوسط دخله السنوي ١٠٤٧ دولاراً . والمواطنون البيض الذين لم يتجاوزوا مرحلة التعليم الثانوية لا يكسبون ضعف ما يكسبه الزنوج الذين يساوونهم ثقافةً فقط، بل يزيد دخلهم بنسبة ٤٠ ٪ على دخل خريجي الجامعات من الزنوج . ليس هذا فحسب ، بل ان الاميركيين البيض الذين لم يعدُوا مرحلة التعليم الابتدائي يكسبون اكثر من الزنوج الجامعيين، ويبلغ متوسط دخلهم ٧٠٪ اكثر من متوسط دخل امثالهم من الزنوج*

وليس من ريب في ان إيثار البيض على السود في ميدان العمل هو رذيلةٌ في ذاته . ولكنه ليس القصة كلها بحالٍ من الاحوال . فالحق ان العامل الزنجي لا يُعطى اجراً اقل لقاء عملٍ أقل ، بل

* U. S. Dept. of Commerce, Report P-46, No. 5, *Educational Attainment by Wage or Salary Income : 1940*, p. 8, table 5.

لقاء عملٍ يَعدِل العمل المطلوب من العامل الابيض أو يزيد عليه من حيث الكمّ والكيف جميعاً .

صحيحٌ أن الزنوج معزولون في أعمالٍ مخصوصة . ولكنّ هذه الاعمال ليست ، على أية حالٍ ، أسهل الأعمال أو أقلها حاجةً الى البراعة . إن عكس ذلك تماماً هو الصواب . فالعمل الذي يُسند الى الزنجي عادةً هو اكثر الأعمال مشقة ، وأشدها خطراً ، وأكرهها الى النفس ، وأبلغها إيذاءً للصحة . والعمال الذين يؤدون هذه المهامّ نفسها في الاتحاد السوفياتي إنما يُكافأون على أدائهم إياها بأجور أعلى ، وساعاتٍ من العمل أقلّ ، وعُطلٍ أطول آجالاً .

ويلاحظ جنر ميردل Gunnar Myrdal في كتابه « مأزقٌ اميركي » أن واحداً بالمائة من العمال في شعبة الادوات من شركة فورد للسيارات ، حيث الاجور مرتفعة جداً ، هم من الزنوج ، في حين ان ٤٧٪ من العمال في قسم الصبّ والسبك من الشركة نفسها ، حيث الاجور منخفضة جداً بالرغم من ان العمل هناك اشق وأخطر وبالرغم من انه يقتضي براعة مماثلة ، هم من اصحاب البشرة السوداء * .

أما روبرت ويفر فينص في كتاب له عن مشكلة العمل عند الزنوج على ان الكثرة الكبيرة من العمال الزنوج في الشمال يعملون في مصانع الصبّ ، وغيرها من المصانع الحارّة ، الكريهة ، التي تقدّم الى عمالها أجوراً منخفضة نسبياً ** .

---

* Myrdal, *An American Dilemma*, Vol. II, pp. 1076 ff.

** Robert C. Weaver, *Negro Labor, a National Problem*, p. 8. N. Y., 1946.

وفي ميسور القاريء ان يكوّن فكرةً عن الأحوال التي يعمل هؤلاء الزنوج في ظلها من تقرير وضعته بعثة بريطانية زارت سنة ١٩٤٩ مصانع سبك الفولاذ في الولايات المتحدة بدعوة من ادارة مشروع مارشال ، لتعليم الاوروبيين «طريقة العيش الاميركية.» فقد وجدت هذه البعثة أن ٥٥ ٪ من الخمسة والسبعين الف عامل هم من الزنوج و١٥٪ هم من «العمال الأوروبيين بولونيين وتشيكيين وإيطاليين وغيرهم» ، و٣٠ ٪ هم من «العمال الاميركيين البيض.»

أما عن احوال هؤلاء الزنوج الذين يؤلفون الغالبية الكبيرة من العمال المنتجين في تلك المصانع، والذين يقدّم كلٌ منهم مجهوداً يزيد ما بين ٥٠ ٪ الى ٩٠ ٪ على ما يقدمه زملاؤه في مصانع الصبّ والسبك البريطانية ، فيقول التقرير إن البعثة وجدت العمال الزنوج « منهمكين في عملٍ شاقٍ الى حدّ بالغ ، حاملين بأيديهم مطارق ثقيلة من حديد . » وأن هؤلاء العمال يشتغلون شغلاً متواصلاً « فلا يكاد النهار ينتصف وتعلن الصفارة بدء عطلة الظهيرة حتى ينطرحوا على وجوههم ، حيث يعملون ، ويستسلموا لسلطان الرقاد . » ويشير التقرير فوق ذلك الى انعدام الوقاية من تتريب الرئة بسبب استنشاق الرمل والتراب Silicosis و « تضحية السلامة على مذبح السرعة » و«جوّ الأهمال الذي يسود الأبنية جميعاً . »

وتعزو البعثة هذه الاحوال كلها الى رغبة أصحاب الاعمال « القساة القلوب » في ان ينتزعوا من عمالهم أعلى قدْر ممكن من الانتاج حتى في ايام الكساد . ولكن لماذا يرتضي الزنوج القيام بهذه الاعمال التي يعافها معظم العمال البيض ؟ هنا يزعم الزوار

البريطانيون الذين اعتادوا استغلال الشعوب السوداء في إفريقية، أن الزنوج « يجدون لذة كبيرة» في هـذا النوع من العمل ، وانهم يشتغلون في ازدراء كامل للنصب والاعيـاء، وانهم « يألفون » الحرارة المرتفعة ارتفاعاً كبيراً ... *

وفي الزراعة يظهر الاضطهاد الاستعماري الذي يخضع له الزنوج في اكثر اشكاله تطرفاً . ففعالبية الزراع الزنوج يعملون على أراض ليست ملكاً لهم ويقدمون ما يزيد عـلى نصف غلالهم اجوراً للمالكين . واكثر من هؤلاء عدداً اولئك الزنوج الذين يستأجرهم اصحاب الاراضي لقاء أجرٍ معلوم ، وهـذه الفئة هي التي تعاني من الاستغـلال أشده وأقساه . ففي تموز سنة ١٩٤٧ كان متوسط التعويض اليومي المدفوع الى الاجير المزارع في الولايات الغربيـة الشماليـة الوسطى حيث يُستخدم عـدد قليل جداً من الزنوج ، ٦ دولارات و٥٢ سنتاً. اما في الولايات الشرقية الجنوبية الوسطى حيث نصف العمال الزراعيين تقريباً من الزنوج ، فقد بلغ متوسط ذلك التعويض ٣ دولارات و٢٤ سنتاً . ليس هـذا فحسب ، بل إن متوسط دخل جميع الاسر البيضاء العاملة في المزارع بلغ ٢١٥٦ دولاراً سنة ١٩٤٧ ، في حين بلغ متوسط دخل جميع الاسر الملونة ١٠٢٦ دولاراً — اي ان الفرق بين الدخلين يكاد يبلغ نفس الفرق الذي وجدناه قائماً بين دخل العامل الصناعي الابيض ودخل العامل الصناعي الاسود ، وهو ١١٠٠ دولار ...**

---

* Anglo-AmericanCouncil on Productivity, *Steel Founding*, London, 1949.

** *Incomes of Families and Persons in the United States* 1947, p. 16, table 2.

ولكن كم تبلغ الارباح الفاحشة التي يبتزها الاستعمار الاميركي من استغلال الشعب الزنجي استغلالاً إضافياً ؟ إن في ميسورنا أن نقع على جواب تقريبي اذا اعتبرنا فرق الالف ومائة دولار الذي أشرنا اليه ربحاً إضافياً، ثم ضربنا هذا الرقم بعدد العمال الزنوج المنتجين في حقلي الزراعة والصناعة ، وقد بلغ سنة ١٩٤٧ نحو ثلاثة ملايين ونصف ، وعندئذ تكون النتيجة ربحاً إضافياً إجمالياً يبلغ اربعة مليارات دولار تقريباً .

والواقع ان هذه العملية الاحصائية لا تشمل غير منتجي السلع من العمال الزنوج . إنها تُسقط من الحساب ، مثلاً ، مئات الألوف من النساء الزنجيات اللواتي يتركن بيوتهن ليخدمن في منازل المواطنين الأثرياء لقاء عشرة دولارات اسبوعياً ، في الجنوب، وما بين عشرين الى خمسة وعشرين دولاراً اسبوعياً في الشمال (باستثناء مدينة نيويورك .)

واياً ما كان فأن رقم الاربعة مليارات دولار يمثل تقديراً محافظاً لما يكسبه الاستعماريون الاميركيون من اضطهاد الشعب الزنجي لأنه يهمل مورداً مهماً من موارد الربح الفاحش إهمالاً كلياً. وتفصيل ذلك ان الشعب الزنجي في الولايات المتحدة ، يُقتضى اسعاراً أعلى من الاسعار الاحتكارية العادية السائدة في هذه البلاد . ففي الريف الجنوبي يتعين على السكان الزنوج ان يدفعوا اسعاراً إضافية في مخازن القرى . . . وفي المدن يُعزل الزنوج في مناطق مخصوصة من مثل منطقة « هارلم » Harlem في نيويورك ، حيث تباع السلع ، على رغم رداءتها النسبية ، بأسعار اعلى مما تباع في المناطق المجاورة . وانما تتجلى هذه النزعة الى استغلال الزنوج ابشع

ما تتجلى ، في اجور المنازل. والواقع ان احقر احياء العمال القذرة slums التي تعرفها مدينـــة نيويورك ، والتي تملكها اكبر شركات التأمين وشركات الرهون وغيرها إنما تقوم في منطقـــة « هارلم » الآنف ذكرها . ولكن اجور المنازل هنا اعلى منهـــا في سائر المناطق العمالية بنسبة خمسين بالمائة ! ...

اضف الى ذلك ان ايما محاولة إحصائية لا تستطيع ان تتسع لآلام البغي نصف العبودي" الذي يحيـــا في ظله ملايين الزنوج الاميركيين. فأسر الحصادين التي تتعاقد على العمل كأسر ، يُكره افرادها جميعاً - الشيوخ والنساء والاطفال الصغار ابتداءً من سن الخامسة - على ان يعملوا في الحقول من مطلع الفجر حتى الغروب. ومن طريق الديون العجيبة وسنن العبودية المقنّعة بأقنعة رقاق يحيا هؤلاء الزنوج شبه سجناء أو أسرى يحق لمالك المزرعة القاء القبض عليهم اذا ما حاولوا مغادرتها. اما المهاجرون الذين لم تعُد الحاجة اليهم ماسةً في المزارع الجنوبيـة فأنهم يعيشون تحت رحمة ملتزمي الاعمال بالمزارع الشمالية الرأسمالية وفي أسْرِهم . . . وهل ننسى أخيراً ، مئات الالوف من الزنوج الذين يُعتقلون كل سنةٍ ، في الجنوب ، لغير ما جريمة اقترفتها ايديهم ، ابتغاء إجبارهم على العمل المسخّر في مزارع السجون وفي الشوارع والطرق لمصلحة شركات الأغذية والملتزمين الذين يجنون ثمرات عملهم غير المأجور !

مظاهر الاضطهاد السياسي

إنّ في وضع الشعب الزنجي في الولايات المتحـدة ِمصداقاً

لقول كارل ماركس المأثور : « لا يستطيع العمل ان يُعتق نفسه في البشرة البيضاء حيث يكون مُسترقاً أو مُستَعبَداً في البشرة السوداء. » وليس من ريب في أن هذا المبدأ ينطبق على الاستغلال الاستعماري الفاحش للشعوب المستضعَفة بشكل عام ولكنه في الحالة الخاصة بالشعب الزنجي ، يقع في قلب الوطن الأمّ ، ويترك اثره المباشر في وضع العمال البيض انفسهم .

ومهما يكن من امر فأن زعماء نقابات العمال في الولايات المتحدة ، باستثناء قلةٍ صغيرة من التقدميين ، يشجعون اضطهاد العمال الزنوج ويعملون على ترسيخ قواعده وتوطيدها . والواقع ان عدداً من نقابات الحرف التي تقتضي براعة خاصةً يُحظر على الزنوج الانتماء اليها تحظيراً صريحاً ، في حين تُغلق عدةٌ من النقابات الاخرى ابوابها، بصورة غير مباشرة ، في وجه الزنوج من طريق نظام التدرّب والاجازة الذي تفرضه على اعضائها . ليس هذا فحسب، بل ان النقابات الصناعية القوية لتقصر تقصيراً فاضحاً في حمل اصحاب العمل على منح عمالهم السود حقوقاً متساويةً والحقوق التي يمنحونها عمالَهمُ البيض،وفي النضال ضد قاعدة«آخر من يُستأجَر، واول من تصوّب الى صدره النار » التي يطبقها اصحاب العمل ضد الزنوج ، وفي الحيلولة دون فرض الأعمال الأكثر مشقة والأقل اجراً على العناصر الزنجية في المحل الأول ، وفي المطالبة بأن يتولى العمال الزنوج بعض المناصب في النقابات الخ ...

لقد انتشرت سموم التعصب العرقي في طول البلاد وعرضها وتسربت الى مجاري الحياة الاميركية جميعاً . فاذا بجماهير الشعب

تتعود اصطناع تعابير الاستخفاف والاحتقار في معرض الاشارة الى الشعب الزنجي والاقليات القوميـــة الاخرى . والحق ان الطبقات الحاكمة قد حاولت قسمة الأمة الاميركيـة الواحدة إلى طوائف متباينة على اساسٍ من الأصل القومي . وعلى الرغم من ضروب الدعاية التي تصور الولايات المتحدة وكأنها « بوتقة تلتقي فيها الشعوب » لا يزال رجال السياسة يبنون حملاتهم الانتخابية عـــلى نداءات خاصة الى « الناخبين الايرلنديين » و « الناخبين البولنديين » ، و « الناخبين اليهود » و « الناخبين الايطاليين » ، و « الناخبين الزنوج » ...

وثمة مضامين أخرى أبعد مدى وأشد خطراً . ذلك ان الجماعة التي لا ترى بأساً في إنزال الاذى والاضطهاد بشعبٍ كاملٍ يحيا على ارض الوطن خليقة بأن لا تتحمس للنضال ضد هذه الأساليب نفسها حين تُطبّق في جنوبي افريقية ، أو آسية ، او اوروبة . والانتصار لسياسة التنكيل بالزنوج في الولايات المتحـدة يقود بصورة منطقية الى الانتصار لسياسة التوسع الاستعماري والحرب العدوانية في الخارج ، برغم ما تجره من عواقب وخيمة على الشعب الاميركي ككلٍّ ، وعلى عمال الولايات المتحـدة بوجه خاصٍ . وهكذا فليس عجيباً أن نرى زعماء نقابات العمال المؤيدين لنظام اضطهاد الزنوج واستغلالهم يؤيدون اصرح التأييد برنامج التوسع الاميركي الاستعماري برمّته .

والواقع ان اضطهاد الشعب الزنجي هو عَـقِـب آخيل * في

* آخيل هو بطل « الالياذة » لهوميروس . وقـد أبدى في حصار

الاستعمار الاميركي . ان من المتعذر اخفاءه باشكال الاستقلال كما هي الحال في انصاف المستعمرات ؛ وفي استطاعة كلّ من يزور الولايات المتحدة ان يراه بأم العين. إنه يسخر من جميع الادعاءات الديبلوماسية التي تسعى الى اظهار الولايات المتحدة بمظهر الحريص على مصالح الشعوب الملونة في آسية وافريقية ؛ ويفضح فضحاً بشعاً الدعاية التي تتبجح « بمستوى الحياة الاميركية الرفيع »، هذا المستوى الذي يُعتبر حراماً على خمسة عشر مليوناً من المواطنين الزنوج ...

ولاجتناب هذه الفضيحة يسعى سادة الولايات المتحدة الى اصطناع الزنوج الذين لا يتورعون عن نصرة الاستعمار. ومما تجدر ملاحظته أنهم لا يُسندون الى هؤلاء الزنوج مناصب ذات سلطان حقيقي ، بل يضعونهم في مراكز لها شأنها في العلاقات العامة ، وبخاصة مع مواطني البلدان الاخرى . ومن اقرب الشواهد على ذلك تعيين رالف بانش والسيدة أديث سامبسون في منصبين من مناصب «الامم المتحدة . » ولمثل أغراض الدعاية هذه ، يتظاهر الرئيس ترومان بالعطف على قضية الزنوج ويؤيد مشروع حقوقٍ مدنيةٍ يهدف الى تحسين احوال الشعب الزنجي . فهو يلوم الكونغرس على عدم اقراره هذا المشروع ، ولكنه لا يحاول النضال من اجل اقراره ، ولا يعبىء قوى حزبه لانجاحه ، ولا يتنكر لاعضاء هذا الحزب

طراودة من ضروب البسالة ما جعله مثلا يضرب في القوة والرجولة والبأس الشديد ، ولم يسقط في الميدان الا بعد ان اصيب في احد عقبيه بسهم مسموم سدده اليه « باريس » . وهكذا يكون المقصود من « عقب آخيل » هنا « نقطة الضعف » في الاستعمار الاميركي . [المعرب]

الذين يتزعمون حملة الكفاح ضد المشروع . وهو موقف مختلف جداً من مواقف العزم والصلابة التي يتخذها ترومان والحزبان الديموقراطي والجمهوري كلما رغبوا في اقرار تشريع يتصل من قريب او بعيد بالاستعداد للحرب او بالتوسع الخارجي .

٤. النقطة الرابعة والدول غير المتطورة

•

في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٤٩ خاطب الرئيس ترومان جمهوراً من نساء الحزب الديموقراطي فقال :

« نحن مشهورون ، بعض الشيء ، بالمعرفة التقنية ... technical وما أبتغي أن اقوم به هو ان اقدم الى شعوب العالم هـذه المعرفة وذلك الفن ... لخدمة السكان ومصلحتهم لا لاستغلالهم واستثمارهم. وهذا هو المعنى الذي تفيده النقطة الرابعة .

« ... إني لأقف في مكتبي وألقي نظرة على مصوّر الكرة الارضية الذي قدمه اليّ الجنرال إيزنهاور ... المصوّر نفسه الذي اصطنعه ليكسب الحرب في اوروبة .

« اني لأرى انهاراً واودية ضخمة غير متطورة ... وليس من ريب في ان نهري الفرات ودجلة يمكن ان يحوّلا من جديد الى جنة عدن . ففي عهد نبوخذ نصر كان ذلك الوادي يُطعم ما بين اثني عشر مليون وخمسة وعشرين مليون نسمة ... وان في استطاعته ان يفعل ذلك كرّة اخرى ... »

وليس هذا اول وعد استعماري وُجّه الى الشعوب المستضعفة ، ولكنه في اغلب الظن اكثرها إسرافاً . فطوال تاريخ الاستعمار

كان الحكام يغطون اغراضهم الاستثمارية بورقةٍ من تينٍ ينسجون اليافها من تظاهرهم بالحرص على خير الفئات المستثمرة ومصلحتها .

والواقع ان الرئيس ماك كينلي Mckinley برّر استيلاء الولايات المتحدة على الفيليبينيين بقوله إن هذا الاستيلاء واجب علينا لـ «لرفع مستوى» الفيليبيين و «تمدينهم» و «تنصيرهم» . . . ولكن الشيء الوحيد الذي ارتفع مستواه، بعد الفتح، هو ارباح الشركات التي استبدت بالاقتصاد الفيليبيني وسخرته لمصالحها ...

وعندما قصد هارفي فايرستون، احد ملوك المطاط الاميركيين، سنة ١٩٢٥، الى ليبيريا احاط رحلته هذه بهالةٍ من الدعاية الصارخة حول الخطط التي رسمها لخدمة تلك البلاد ونقل المدنية الى اهلها . حتى اذا انقضت خمس وعشرون سنة على هذا الاعلان كانت الحضارة الوحيدة التي حملها فايرستون الى ليبيريا هي مجموعة من القواعد الجوية والبحرية الاميركية ومنجم حديدٍ تملكه شركة الفولاذ الجمهورية . * فلا يزال العمال المشتغلون في المزارع يعبّأون من افراد القبائل الاهلية بطريقة العمل الالزامي الافريقية المألوفة . ولا يزال الاميركيون يدفعون الى كلٍ منهم ثمانية عشر سنتاً اجراً يومياً . وقد اطلقوا عليهم الرصاص، سنة ١٩٥٠، عندما اضربوا مطالبين بزيادةٍ في اجورهم لا تعدو ثلاثة سنتات يومياً !!

وفي العقد الرابع من القرن الحالي وضع صمنر ويلز، خبير الرئيس روزفلت في شؤون اميركة اللاتينية «سياسة الجار الصالح» Good Neighbor Policy التي افترض ان تمثل اطراحاً

---

* احدى الشركات الاميركية الكبرى، وقد مر ذكرها . [المعرب]

لـ « ديبلوماسية الدولار » وأخذاً بسياسة جديدة تقوم على إسداء « المعونة غير الانانية » الى دول اميركة اللاتينية ابتغاء تطوير اقتصادها وتعزيزه . فلما كانت سنة ١٩٣٩ كتب المراسل الديبلوماسي بلير بولز يقول : « الحق ان السياسة الاميركية تسعى ابداً الى بسط سلطانها على اميركة اللاتينية كلها... بقي على صمنر ويلز ان يبدع اسلوباً يخدع الناس عن حقيقة السياسة الاميركية ويظهرها بمظهر البراءة والتجرد الخالصين ، في نصف الكرة الغربي... » *

والواقع ان كثيراً من ملامح النقطة الرابعة الحقيقية يمكن ان تُرى من خلال تصريحات عرّابيها والمدافعين عنها. ففي ٣٠ آذار سنة ١٩٥٠ بسط ناظر الخارجية دين اتشيسون ، امام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ ، الاسباب الموجبة لبرنامج النقطة الرابعة. فقال إن ثلثي السكان في البلدان المتخلفة اقتصادياً لن يرتضوا الفقرَ والمرض اسلوباً لهم في الحياة ، بعد اليوم ، واهاب بالرأسمالية ان تقدّم حلاً لهذه المعضلة وإلا وجّه هؤلاء السكان وجوههم شطر الشيوعية . وليس من ريب في ان مخاوف اتشيسون في محلها لأن تلك الشعوب قد رأت الى النجاح البالغ الذي اقترنت به الطريقة الشيوعية في آسية الوسطى السوفياتية التي كانت في يوم من الأيام مستعمرات قيصرية معدمة فأخذت اليوم بأسباب الرقي وصُنّعت تصنيعاً زاهراً وغدت تشارك على قدم المساواة في انشاء الحياة بالاتحاد السوفياتي .

---

* Blair Bolles, «Sumner Welles, a Close-up Portrait», in *Scribner's Commentator*, Dec., 1939.

فهل يقدّم إتشيسون بديلاً عملياً يستطيع ان يضاهي البرنامج الأشتراكي الذي اثبتت الايام نجاحه ؟ انه حين ينتهي الى الكلام التفصيلي جدير" بأن يخيّب آمال ايما إنسانٍ يتوقع العون من واشنطون في التطور الاقتصادي فهو يقول : « احسبُ ان هناك فكرةً شائعةً تذهب الى اننا سوف ننشيء مصانع كبيرة ومناجم لتلك الشعوب المتخلفة اقتصادياً . فأنا اعلن ههنا ان ذلك غير صحيح ... »

واذا كانت هذه الفكرة شائعة شيوعاً كبيراً فلأن رجال حكومة واشنطون ظلوا طوال عامٍ بكامله يروجون للاسطورة القائلة بأن الولايات المتحدة عازمة" على ان تنهض بعبء برنامج تطويري اصيلٍ . ثم ما الذي يبقى من هذا البرنامج إذا استُبعدت المساعدة الجدية في ميدان التصنيع ؟...

كل ما يبقى هو « مساعدة » الفنيين الاميركيين . وقد اسهب اتشيسون في عرض الامثلة على ذلك، فنص على ان خبيراً اميركياً اوصى احد المزارعين باستعمال سماد نيترات الصوديوم ، فعمل المزارع بنصيحة الخبير فبلغ إنتاجه من الحنطة ثلاثة اضعاف إنتاجه السابق ... ولكن اي نفعٍ في مثل هذه النصيحة للكثرة الغامرة من الفلاحين الفقراء الذين لا قِبلَ لهم بشراء الأسمدة التجارية ، والذين لا يملكون ارضاً ما ولكنهم يكدحون عُمرَهم من اجل رفاهية الامراء الأقطاعيين والشركات الاستعمارية ؟ فواضح" إذن ان البرنامج اللاإستعماري الحقيقي — الأرض لاولئك الذين يحرثونها — خليق" بان يكون اكثر استهواءً للفلاحين في البلدان

غير المتطورة ، ومن هنا كان هو البرنامج العملي الأوحد .

ومَثلٌ آخر من اتشيسون : « في استطاعتنا ، مثلاً ، أن نساعد شعوب تلك البلدان في أمورٍ من مثل تعداد السكان بالأساليب الحديثة ووضع الاحصائيات الحيوية . وليس من حاجة الى رأس المال الموظف من اجل القيام بهذا كله . »

أجل ، فهذه « المساعدة الفنية » « رخيصة » جداً . « وليس من الضروري ان يكون الخبراء ثقاتٍ من الطراز الأول في فروع اختصاصهم . ولا ريب في ان هذا العمل يجب ان يستهوي الشبان الاميركيين الذي يتمتعون ببعض الكفاءة والخبرة . وأحسب ان في استطاعتنا ان نقع على مئات من الرجال الصالحين في الدوائر الحكومية والبلدية ، وفي المدارس والجامعات ، وفي المزارع والمصانع ومنظمات البحث الخاصة . والمشكلة الآن تتلخصُ في البحث عن هؤلاء الرجال ، وإخضاعهم لتدريب إضافي بسيط ، ثم اقناعهم بالسفر الى الخارج في خدمة امتهم وبلادهم . »

ببضع مئاتٍ من الشباب الطالع يعتزم اتشيسون ان يسدّ حاجات ثُلثي سكان العالم ، وان يقفَ اندفاعَهم نحو التحرر الوطني ! وينبه ناظر الخارجية مستمعيه الى ان برنامجه « قد يحتاج - إلا في احوال قليلة - الى خمس سنوات او عشر سنوات او اكثر من ذلك ايضاً لكي يؤتي ثماره اليانعة . حسناً ، إن عشراً من السنوات لا تعدو ان تكون دقيقةً في حياة الأمة ، واقل من ثانية في حياة الحضارة . »

والواقع ان خمس سنوات او عشراً تعني حياةً او موتاً ،

شبعاً أو جوعاً ، صحةً او مرضاً ، سلماً او حرباً ، بالنسبة الى مئات الملايين من البشر ...

إن الناس لا يستطيعون الانتظار . وإنهم لن يأخذوا بفلسفة اتشيسون في « الدقائق » و « الثواني » . ولا خلاف في ان قيمة برنامجه الدعاوية محل شكٍ وارتياب . فعلام هذه الضجة كلها ؟ وما هي الحقيقة وراء هذه الوعود الفارغة ؟

واليك هذا المثل الذي يصور لك كيف تعمل « المساعدة الفنية » في الواقع . قال اتشيسون :

« لقد دعت الحكومة البرازيلية ايضاً ثلاثه جيولوجيين اميركيين رسميين لمساعدة خبرائها في البحث عن مصادر جديدة للمواد الستراتيجية. وقد نتج عن هذه المساعدة المتواضعة اكتشاف منجمين من اضخم مناجم المنغنيز في نصف الكرة الغربي، منجمين لا يُقوَّمان بمالٍ مهما عَظُم . »

ولكن مستر اتشيسون يحجم ، في تواضع ، عن الاشارة الى هذه الحقيقة : أن « المنجمين اللذين لا يقوّمان بمال مهما عظم » إنما تتدفق خيراتهما على « شركة بيت لحم للفولاذ » Bethlehem Steel Co. لا على الشعب البرازيلي . ومن هنا نرى ان برنامج المساعدة الفنية لا يعدو ان يكون ، في جوهره ، تصيداً مكثفاً للمواد الاولية تقوم به الحكومة الاميركية لمصلحة الشركات الاحتكارية في وول ستريت ...

بيد ان إسداء المساعدة الفنية الى البلدان غير المتطورة ليس غير الجزء الاصغر من برنامج النقطة الرابعة . قال اتشيسون : « وعلى

اية حال، فنحن نضع توكيداً شديداً على استثارة المؤسسات الخاصة للمشاركة في هـذه المشروعات لا من طريق تقديم الرساميل فحسب ، بل طريق تقديم البراعات التقنية technical والادارية التي تأتي مع الرساميل ايضاً . »

وتلك هي القصة القديمةالتي تتحدث عن تقديم المساعدة الحكومية لتصدير الرساميل من قبل الشركات الاحتكارية ، والتي تهدف آخر الأمر الى إبقاء الدول المستضعفة على حالها من التأخر والفقر. ولكن كيف تقدّم هذه المساعدة الحكومية ؟ عن هذا السؤال يجيب اتشيسون :

« يجب ان يثق اصحاب الرساميل ان ممتلكاتهم لن تصادر من غير ما تعويض عادل ، وان في ميسورهم ان يُخرجوا ارباحهم المشروعة ورأس مالهم من البلاد ، وان تكون لهم حرية معقولة في إدارة اعمالهم في حدود القانون المحلي المطبق على الجميع بالتساوي. ذلك، بكلمة موجزة ، هو جوهر مشكلة توظيف الرساميل ، وإنها كما ترون مشكلة ثقة .... »

ثقة بأن شيئاً لن يحول دون الشركات الاحتكارية الكبرى واقتناص الارباح الفاحشة وإخراجها ؛ ثقة بأن حركة التحرر الوطني لن تنهض يوماً للمطالبة بثروات البلاد القومية ؛ ثقة بأن الشركات الاحتكارية ستكون قادرة على ان تعمل كما يحلو لها في البلدان الأجنبية ...

ذلك هو الهدف الحقيقي الذي يرمي اليه مشروع النقطة الرابعة. وعلى ضوء هذا الهدف اتخذت التدابير العملية لأنجاح المشروع .

وهذه التدابير تشمل «أ» عقد معاهدات مع البلدان الاجنبية من اجل اطلاق يد الاحتكارات الاميركية في العمل ؛ «ب» سن الحكومة الاميركية تشريعات تضمن ارباح هذه الشركات واموالها الموظفة ؛ «ج» وضع تشريعات خاصة تخفض الضرائب على الارباح التي تجنيها الشركات من المشروعات الخارجية.

وحتى هذا كله ليس كافياً :

« ولكن حين تجمعون هذه الاشياء كلها فلا ريب في انكم ستجدون ان ليس ثمة طريقة لا يتطرق اليها الوهن لضمان حقوق المسهمين في هذه المشروعات وصيانتها من مختلف المخاطر التي تواجهها في اجزاء كثيرة من العالم اليوم . »

وهكذا يؤكد اتشيسون انه يتعين علينا ان نسعى الى ايجاد « المناخ الملائم » لتوظيف الرساميل. ولكن ماهو « المناخ الملائم »؟ إنه شعب مستكين مذعور يخاف ان يقاتل من اجل مصالحه الخاصة. إنه يقتضي سحق حركة التحرر والقضاء على الاشتراكية حيثما وجدت.

ويكشف ناظر الخارجية الستار عن حقيقة الاهداف التي تقصد اليها الولايات المتحدة من تصدير الرساميل الاميركية في قوله :

« نحن ننفق المليارات على الدفاع العسكري ، كما ينبغي لنا ان نفعل . ونحن ننفق مليارات اخرى على تدعيم الحياة الاقتصادية في اوروبة ومناطق حيوية في الشرق الأقصى، كما ينبغي لنا ان نفعل. ونحن ننظم ضروب الدفاع المشترك من طريق معاهدة شمالي الأطلسي وبرنامج المساعدة العسكرية . »

ومن هنا نرى ان مقتضيات الاستغلال الاستعماري المكثف

لا تزال هي هي : تسليط العصا على جنوب المستثمَرين . والواقع ان برنامج النقطة الرابعة بكامله يبدو من خلال تصريحات اتشيسون مجرد حجاب من حجب الدعاية يشن رأس المـــال الاميركي من ورائه هجومه العالمي في ميادين السياسة والاقتصاد والحرب .

فاذا جئنا الى البـلدان المستضعفة وجدنا ان وعود ترومان للشعوب المتخلفة في مضمار الرقي قـد تقلصت الى بضعة خبراء من الدرجة الثانية في حين ضُرِب صفحاً عن التطوير الاقتصادي الفعلي بالكلية .

ولكن وضع برنامج على الورق لابتزاز الارباح الفاحشة من طريق الاستغلال الاستعماري المكثف ومن أجل الحرب المبنية على ذلك الاستغلال شيء ، وتحقيق ذلك البرنامج شيء آخر . وتوقيـع رجل الدولة السائر في ركاب الاستعمار على وثيقـة يبيـع بها بلاده شيء ، وتسليم تلك البلاد الى المستعمرين شيء آخر . فقـد كانت حكومة الكومنتاغ في الصين من اوائل الحكومات التي وقعت على معاهدة من طراز معاهدات النقطة الرابعة التي تفضي الى التخلي عن السيادة الوطنية الاقتصادية بكاملها للشركات الاحتـــكارية الاميركية . ولكن الشيوعيين الصينيين سارعوا الى تمزيق تلك المعـــاهدة ، وأسقطوا حكومة الكومنتاغ ، فذهبت آمـال وول ستريت ادراج الرياح .

إن حكام البلدان المتخلفة اقتصادياً ليرحبون اليـــوم ببرنامج النقطة الرابعة ، ولكنهم يخشون جميعاً ان يصيروا بسببٍ من ذلك الى ما صار اليه شيانغ كاي تشيك . ورأس المـــال الاميركي

يشاركهم مخاوفهم هذه ، ولكنه لا يستطيع ان يجد حلاً .

وليس ثمة مخرجٌ سهلٌ من هذا المأزق . فبسببٍ من الاتجاه الشعبي العالمي العنيف نحو الحياة الكريمة والاستقلال الوطني الصحيح صار يتحتم على المشاريع الهادفة الى استعباد الشعوب أن ترتدي لباس الوعود الكاذبة . ولكن إغداق الوعود ثم إخلافها يؤجج من نار المقاومة الشعبية ويعطل جو الانقياد والتراخي في الوطنية الذي ينمو فيه رأس المال الاستعماري ويزدهر .

وعندما يجدّ الجدّ يُخْلي الدجل السياسي مكانه للقوة المسلحة . ذلك ان المؤتمرات والبرامج الاقتصادية تؤدي آخر الأمر الى المحالفات العسكرية ، ومواثيق مكافحة الشيوعية ، والغزو المسلح من جانب الاستعمار الأميركي ، كالذي حصل في كوريا .

ولكن النضال العالمي في سبيل حياة افضل قويٌ الى ابعد الحدود ، فليس في ميسور الدجل السياسي او القوة المسلحة ان يصدّا تياره العارم . والذي لا ريب فيه ان شعوب العالم سوف تكسب الحق في التطور الاقتصادي من طريق النضال ضد الاستعمار وضد عملائه الوطنيين .

٥ . ستراتيجية السيطرة على العالم

•

في الحرب العالمية الثانية أيد شعبُ الولايات المتحدة النضال ضد المحور لينقذ نفسه وشعوب البلدان الاخرى من الخراب على يد الفاشستيين الألمان والعسكريين اليابانيين . وقد اكد رجالنا الرسميون دوافعنا غير الأنانية وزهدنا في ممتلكات الشعوب الاخرى وأراضيها. وهي دعوى صحيحة اذا كان في الكلام اشارة الينا نحن شعب الولايات المتحدة . فالكثرة الغامرة من الشعب الاميركي لا تستسيغ الفتوح الخارجية ولم تكن كذلك في يوم من الايام . أما اذا كانت الاشارة الى الأسر الحاكمة التي تسيطر على شركات النفط والمعادن وعلى مصارف وول ستريت ، فليس من ريب في ان هذه الدعوى كاذبة مائة بالمائة . فقد سعى هؤلاء جميعاً ، طوال الحرب العالمية الثانية ، في سبيل الربح الخيالي سعياً علنياً حثيثاً واندفعوا للاستيلاء ، بواسطة الحرب ، على الممتلكات الاجنبية وعلى مناطق النفوذ في مختلف بلدان العالم . واذ كانت كلمتهم هي العليا في دوائر الدولة المركزية الاكثر حيوية فقد عملت الحكومة خلال الحرب العالمية الثانية والسنوات التي تلت ، على إشباع شهوات الشركات الاحتكارية الاميركية وسد مطالبها التي

تجاوزت اليوم جميع الحدود والسدود .

فمنذ مطلع الحرب التي شنّها الاستعماران الألماني والياباني ادرك اصحاب الرساميل الاميركية انهم سيكونون هم كاسبيها الرئيسيين.
ومن تلك اللحظة تحفّز اولئك الرجال الذي يسروا للمعتدين شن الحرب بما نقلوه اليهم من مقادير ضخمة من النفط ، والآلات ، وانواع المعادن ، وبقانون الحياد الذي اقره الكونغرس سنة ١٩٣٧ ، وأتلعوا اعناقهم ...

لقد رأوا بثاقب نظرهم ان هذه الحرب ستكون حرباً طويلة الأجل ، كالحرب العالمية الأولى ، وان في ميسورهم ان يجنوا من ورائها مكاسب هائلة وينتزعوا مناطق برمتها مما تملكه الدول الاستعمارية الاخرى ، وبريطانية منها بخاصة ، بوصفها صاحبة اكبر امبراطورية على ظهر هذا الكوكب .

واكتسح النازيون بلدان اوروبة الغربية ، وهددوا من قاعدتهم الصناعية المتسعة انكلترة بالغزو . فاذا الاستعمار البريطاني في حاجة ماسة الى تأييد مادي كبير من الولايات المتحدة ثم الى تأييد عسكري ايضاً ، لكي يبقى على قيد الحياة .

وفرض امراء وول ستريت شروطهم . وقد رُسمت خطوطها الكبرى في خطابٍ شهير القاه فيرجيل جوردان رئيس مجلس المؤتمر الصناعي الوطني قال :

« مهما كانت النتيجة التي ستؤول اليها الحرب فقد اندفعت الولايات المتحدة في اتجاه استعماري في الشؤون العالمية وفي كل مظهر من مظاهر حياتها ... وفي احسن الاحوال ، ستصبح

انكلترة شريكاً ثانوياً في استعمارٍ انكلوسكسوني جديد تكون فيه موارد الولايات المتحدة الاقتصادية وقوتها العسكرية والبحرية مركز الثقل » ✡

لقد تكشّف الرئيس فرانكلين روزفلت عن عواطف مناوئة للفاشستية ، وسعى ان يحسّن احوال الشعوب المستعبدة ، والى ان يقيم علاقات ودّ وصداقة مع الاتحاد السوفياتي. ولكنه لم يكن هو صاحب الكلمة العليا . ذلك ان روزفلت ما كان رئيساً لحكومةٍ شعبيـــة صحيحة ولكنْ رئيساً لجهاز حكومي تسيطر بيوتات وول ستريت على مفاتيحـــه العسكرية والديبلوماسية والسياسية جميعاً . لقد كان روزفلت قائداً لهذه القوى ، قائداً حكيماً ومعتدلاً ، ولكنه خاضعٌ ابداً لسلطان الطبقة الحاكمة .

كان روزفلت قائداً اعلى للقوات الاميركية ولكن توجيـــه الحرب كان وفقـــاً لستراتيجية الاستعمار الاميركي التوسعية الأساسية . وطالب روزفلت بستراتيجية عسكرية تستطيع ان تهزم هتلر باسرع وقت مستطاع ، ولكن قادة الاستعمار الاميركي تعاونوا مع قادة الاستعمار البريطاني على انفاذ ستراتيجية عسكرية ُقصد بها الى استنزاف قوى الاتحاد السوفياتي ، واحتلال القوات الاميركية البريطانية معظم المناطق الستراتيجية . وشجب روزفلت سياسة ابتزاز الثروات من المستعمرات وتحدث عن « سياسة الجار الصالح » في اميركة اللاتينية ، ولكن رجال وول ستريت —

✡ Virgil Jordan, at Investment Bankers Association, N. Y., Dec. 18, 1940.

صمنر ويلز ، ونلسون روكفلر ، وجس جونز — وجهوا الحرب بطريقة خليقة بان تقوّي براثن ذلك الابتزاز وتزيد في افقار اميركا اللاتينية .

وما دامت الولايات المتحدة خاضعة لسلطان رأس المال المالي فيتعين عليها ان تسلك سبيل التوسع الاستعماري ، وتكيف ستراتيجيتها المباشرة وفقاً للاحوال الخاصة المؤثرة في الاستعمار الاميركي والاستعمار العالمي في وقتٍ بعينِهِ . وقد فسر فيرجيل جوردان ذلك في ما يلي :

« إننا قد نخشى لفظة الاستعمار البغيضة ، غير المألوفة .... وكثيرٌ منا يؤثرون أن يخفوها ، على الطريقة الاميركية الشائعة ، وراء حجابٍ من عبارة غامضة مثل « الدفاع عن نصف الكرة الغربي » . ولكن اميركا مقدّرٌ لها ان تسلك هذه السبيل ، شعورياً او لا شعورياً ، بحكم مزاجها وقواها ومواردها وبدافعٍ من الاحداث العالمية ، لا في السنوات الاخيرة فحسب ، بل منذ مطلع القرن ... هذه الاحداث قد دفعتنا في هذه السبيل ولم تمنحنا الفرصة لاقامة استعمار حديث ، فحسب ، بل زودتنا بالادوات الاقتصادية والاتجاهات الاجتماعية ، ثم بالعادات والسجايا السياسية المساعدة على ذلك ..... **وليس لنا ، في الحق ، مندوحة عن السير في الطريق التي سلكناها خلال ربع القرن الأخير ، وفي الاتجاه الذي اتخذناه في فتح كوبا والفيليبين ، وفي مشاركتنا في الحرب العالمية الأخيرة .** » *

---

* المصدر السابق نفسه .

كانت اهداف وول ستريت الرئيسية العاجلة خـــلال الحرب العالمية الثانية إقصاء جميع المنافسين الاستعماريين من نصف الكرة الغربي وفرض السيطرة الاميركية المطلقة على المحيط الهادىء، وعلى جزء كبير من الشرق الاقصى. *

ولقد تحققت أهداف وول ستريت في نصف الكرة الغربي تحققاً كامـــلاً. فمنذ اللحظات الاولى من الحرب اقصي الاستعمار الالماني عن المسرح وكان قد خطا خطوات واسعة .في امـــيركة اللاتينية، وبخاصة في الارجنتين والبرازيل. فصادرت حكومات اميركة اللاتينية الرساميل الالمانية الموظفة هناك، والبالغة نحو مليار دولار، نزولاً عند اوامر الولايات المتحدة. كذلـــك صادرت الحكومات الاميركية الجنوبية الممتلكات الايطالية واليابانية، ولم تكن على مثل هذه الضخامة. ولم يمض غير طويل حتى اعيد تنظيم كبرى هذه المؤسسات تحت سيطرة وول ستريت المالية. ومن اهم هذه المؤسسات شركات الطيران من مثل شركة خطوط كوندور الالمـــانية وشركة خطوط لاتي الايطالية في البرازيل، وشركة خطوط سكادتا في كولومبيا. وقد كان لهـذه الخطوة، في قارة تعتمد اعظم الاعتماد على المواصلات الجوية، اثر بعيد جداً في إحكام

* وقد عبر جوردان عن هذه الاهداف بالكلمات التالية: « جنوباً في نصف الكرة الغربي، وغرباً في المحيط الهادىء، يتخذ ركب الاستعمار سبيله؛ وبلغة القوة الاقتصادية الحديثة والاعتبار prestige السياسي ينتقل الصولجان اليوم الى الولايات المتحدة. »

قبضة الاستعمار الاميركي الشمالي على خناق اميركة الجنوبية .

وانتهى الحليف الضعيف ، الاستعمار الفرنسي، الى مصير مشابه، فقد تقلصت الرساميل الفرنسية الموظفة في اميركة اللاتينية ، والبالغة ١٦٠٠ مليون دولار سنة ١٩١٣، تقلصاً كبيراً بعد الحرب العالمية الاولى ، ولم يبق منها غير ١٠٠ مليون دولار بعد الحرب العالمية الثانية .

اما الضربة الرئيسية فقد وُجهت ، في نصف الكرة الغربي، الى خصم وول ستريت التاريخي، وحليفه زمنَ الحرب، أعني الاستعمار البريطاني .

فمقابل عددٍ معين من المدمرات أكرِه البريطانيون على التخلي عن قواعدهم العسكرية الرئيسية في بحر الكاريبيان والسواحل الكندية. ومقابل مقاديرِ بعينها من الاسلحة اضُطروا الى الانسحاب من كثيرٍ من المؤسسات التي كانت لهم فيها اموال موظفة في الولايات المتحدة واميركة اللاتينية وكندا. ولم ينطوِ ذلك دائماً ، في اميركة اللاتينية، على تحويل الملكية تحويلًا مباشراً الى رأسمالي الولايات المتحدة. ولكن حتى في الاحوال التي بيعت فيها الاسهم البريطانية لاحدى حكومات اميركة اللاتينية ظل المجال متسعاً امام رساميل وول ستريت لتعمل وتستغل .

ففي كندا كانت الرساميل البريطانية الموظفة تبلغ سنة ١٩٣٩ مليارين ونصف مليار دولار فاذا بها تصبح سنة ١٩٤٧ ملياراً وستمائة مليون دولار ، بينا كانت رساميل الولايات المتحدة الموظفة هناك تبلغ اربعة مليارات ومائتي مليون دولار سنة ١٩٣٩ فاذا بها

تصبح خمسة مليارات ومائتي مليون دولار سنة ١٩٤٧ * . وفي اميركة اللاتينية انحدرت الرساميل البريطانية الموظفة من اربعة مليارات ونصف مليار دولار سنة ١٩٣٩ الى مليارين وستمائة مليون دولار سنة ١٩٤٩ ، بينا زادت رساميل الولايات المتحدة الموظفة هناك من ثلاثة مليارات وسبعمائة مليون دولار سنة ١٩٤١ الى خمسة مليارات ومائتي مليون دولار سنة ١٩٤٨ ** .

حتى اذا وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها كانت تعريفات المعاملة الفضلى هي كل ما تبقى من الصلات الخاصة التي كانت تربط انكلترة وكندا . ذلك ان سياسة كندا الاقتصادية والديبلوماسية والعسكرية أمست خاضعة خضوعاً كاملاً للولايات المتحدة . وفي معاملاتها مع كندا انتهت بريطانية اليوم الى ان تواجه بلداً جديداً من بلدان « الدولار » . ليس هذا فحسب بل لقد اصبحت كندا ساحة تدريب لقوات الولايات المتحدة ، وانتقلت ثرواتها النفطية والحديدية المكتشفة حديثاً الى الشركات الاحتكارية الاميركية ، انتقالاً آلياً .

وفي اميركة اللاتينية تقلصت الرساميل البريطانية تقلصاً أبعد ، عقبَ الحرب العالمية الثانية ، بسببٍ من إقدام الحكومات الموالية لواشنطن على شراء الممتلكات البريطانية . فخلا الجو للاستعمار الاميركي ولم يبقَ له منافس في تلك الديار ، وبخاصة في البرازيل اكبر بلدان اميركة اللاتينية . ولم تحتفظ الولايات المتحدة بشبكة

---

* *Balance of Payments Yearbook, 1938, 1946, 1947*, p. 101.

** Wythe in *Foreign Commerce Weekly*, Apr. 11,1949, p.42.

البعثات والقواعد العسكرية التي اقامتها هناك ، اثناء الحرب ، فحسب بل وسّعت من نطاقها وقوّت من فعاليتها ايضاً ؛ ثم كان برنامج توحيد الاسلحة فقضى على البقية الباقية من عناصر الاستقلال في تلك البلدان .

وهكذا شهدَ عالمُ ما بعد الحرب هذه القارة بكاملها تستجيب لضربات السوط المتلاحقة في واشنطون . ومن باتاغونيا * الى بافن لاند ** ، دان نصفُ الكرة بالطاعة والولاء لأمراء وول ستريت .

وحَسْبنا هذا القدْر من الكلام على توسع الولايات المتحدة جنوبيّ نصف الكرة . فما الذي يمكن ان يقال عن التوسع في اتجاه الغرب ، في المحيط الهاديء ؟

لقد ألمعت الاحتكارات الاميركية الى رغبتها في ان ترث الامبراطوريات الأوروبية في الشرق الاقصى حتى قبل ان تنغمس الولايات المتحدة انغماساً فعالاً في الحرب العالمية الثانية .. والواقع ان النقطة الحرجة التي وقفت عندها المفاوضات الاميركية اليابانية - النقطة التي قالت واشنطون عندها : الى هنا فحسب - كانت الهند الصينية الخاضعة للفرنسيين ! فعندما أعلنت نظارة الخارجية الاميركية الديبلوماسيين اليابانيين ان غزو الهند الصينية سوف يُعتبر عملاً عدائياً ادرك الاستعماريون اليابانيون، الراغبون هم انفسهم في ابتلاع الشرق الأقصى برمته ، ان الحرب لا بدّ

* اقليم في الارجنتين في اقصى الجنوب من اميركة اللاتينية. [المعرب]

** في شمالي اميركة ، غربي غرينلندة . [المعرب]

واقعة ، وشنوا هجومهم على قوات الولايات المتحدة العسكرية .

وفي خلال سنوات الحرب احتلت الولايات المتحدة جميع الجزر الستراتيجية المهمة في المحيط الهادىء واحتفظت بسلطانها عليها في ما بعد . وأخضعت الفيلبين للاستعمار الاميركي نزلةً اخرى واتخذت نقطة انطلاق لفتوحٍ جديد .

وعلى الرغم من ان الرساميل البريطانية الموظفة في الصين كانت تبلغ أضعاف الرساميل الاميركية الموظفة فيها فقد استُبعدت القوات البريطانية استبعاداً كاملاً من جميع العمليات الحربية في الصين ، وبعد الحرب حُوّلت تلك البلاد – مؤقتاً – الى مستعمرة اميركية على رأسها شيانغ كاي شك .

أما في اليابان فأن الاحتلال الاميركي لم يوّجه ضد الاتحاد السوفياتي والشعب الياباني فحسب بل ضد مصالح بريطانية التجارية والمالية ايضاً . فقد استولت الاحتكارات الاميركية على جميع مراكز التجارة وتوظيف الرساميل المهمة ضاربةً بالاحتجاجات البريطانية عرض الحائط . وانشيء بين البيوتات المالية اليابانية وبين وول ستريت تحالف جديد خليقٌ بان يجعل اليابان مستعمرة ذلولاً للولايات المتحدة لولا يقظة الشعب الياباني الذي لا بد ان يقول آخر الأمر كلمته الجريئة الحاسمة .

وبفضل سيطرة الولايات المتحدة على المحيط الهادىء ، والفيلبين ، والصين ، واليابان استطاع الاستعمار الاميركي ان يبسط سلطانه المباشر المطلق على اكثر من نصف سكان الشرق الأقصى وعلى القواعد التي تمكنه من فرض سيطرته على سائرهم .

ولم تكد الحرب العالمية الثانية تضع اوزارهـــا حتى صار في ميسور احـــد اعضاء الكونغرس الأميركي ان يزعم ان المحيط الهادىء « هو محيطنا بـلا جدال . » * وهكذا تحققت اهداف جوردان في نصف الكرة الغربي وفي المحيط الهادىء جميعاً .

تلك كانت المناطق الرئيسية التي تم فيها التوسع الاميركي زمن الحرب . ولكن الاستعمار الاميركي وُفق الى انتصارات اخرى ايضاً ، فاذا بسيطرته على المحيط الاطلسي وعلى الجزائر الواقعة فيه لا تقلّ عن سيطرته على المحيط الهادىء قوةً وشمولاً ، وإذا بـــه يهيمن على سلسلة من القواعد العسكرية في غربي افريقية وشماليها ، ويمكّن لسلطانه العسكري والاقتصادي في الشرق الأوسط من طريق النفط السعودي والحيلولة دون وقوعه بأيدي البريطانيين . ليس هـــذا فحسب بل لقد اشترى ، هو والاستعمار البريطاني ، السياسيين والقواد العسكريين المنفيين الذين اعيدوا الى مراكز القوة والسلطان في معظم بلدان اوروبة الغربيـــة وفي ايطالية واليونان .

وهكذا تم إضعاف الاستعمار البريطاني ، وإحالته الى تبَع للاستعمار الاميركي ، على احسن وجهٍ كان يحلم به وول ستريت !.

الاستعمار الاميركي يطمع في توسع غير محدود

ولم تكد الاهداف التي عبّر عنها جوردان تتحقق حتى غدت مُماتة obsolete ففي خلال الحرب العالمية افسحت هذه الاهداف

* Ed. V. Izac, quoted in *Washington Post*, Dec.2, 1946.

« المتواضعة » المجال لهدف ابعد : هو السياسة غير المحدودة على العالم . ولم يكن هذا الهدف نفسه غرضاً مطلقاً طويل الأجل ؛ لقد كان الغاية الستراتيجية للفترة التي ستعقب الحرب العالمية الثانية مباشرةً . وكان الاساسُ الاقتصادي لهذه الستراتيجية نمو الطاقة الانتاجية الأميركية زمن الحرب ، وضغط الأرباح الاحتكارية التوسعي الذي اشرنا اليه في فصل سابق . أما الاساس العسكري لهذه الستراتيجية فكان نمو سلاح القاذفات الثقيلة في اسطولنا الجوي نمواً مسرفاً غير متوازن ، وخلق شبكة عالمية من القواعد العسكرية لتلك القاذفات ، وبخاصة ظهور القنبلة الذرية بوصفها أفعل الاسلحة التي ابتدعها الانسان ، حتى الآن ، في الاعتداء على جماهير الناس .

والسبيل الفعال لنجاح هذه الستراتيجية تحقيقُ السيادة الاقتصادية والعسكرية على العالم الرأسمالي برمته ، وتعبئة جميع القوى الرجعية في كل مكان تحت قيادة رأس المال الاميركي ، واخيراً شن الحرب على الاتحاد السوفياتي .

وقد نادت بمثل هذه الستراتيجية وعملت من اجلها اكثر الدوائر المالية والعسكرية رجعيةً وتعصباً خلال السنوات الاخيرة من الحرب العالمية الثانية . فلم تُطل سنة ١٩٤٥ — ١٩٤٦ حتى كانت هذه القواعد تؤلف الستراتيجية السائدة المتمتعة بتأييد العناصر الفعالة في دنيا المال .

وكانت الدلالات **الديبلوماسية** على هذه الستراتيجية هي :

« أ » الدور الرئيسي الذي مثله الاستعمار الاميركي منذ سنة ١٩٤٥

في محاولة اقامة حكومة رجعية مناوئة للاتحاد السوفياتي في بولندة وهي الطريق التـاريخي لغزو الروسيا . « ب » سعي الولايات المتحدة لضم الارجنتين الى منظمة الامم المتحدة ، في ربيع سنة ١٩٤٥ ، خارقةً بذلك المبادىء اللافاشستية التي تجسدت في مفاوضات دومبارتن أوكس تمهيداً لتشكيل منظمةٍ للامم المتحدة .

أما دلالاتها **الاقتصادية** فكانت : « أ » قطع مساعدة « الأعارة والأيجار » عن الاتحاد السوفياتي بعد هزيمة اليابان مباشرة . « ب » رفض إسداء أيما معونة اقتصادية لأعادة تعمير الاتحاد السوفياتي . « ج » خرق الاتفاق القاضي بنقل التعويضات بطريق البحر من المانية الغربية الى الاتحاد السوفياتي .

واما الدلالات **العسكرية** فتجلت في « أ » إرجاء فتح الجبهة الثانية حتى سنة ١٩٤٤ رجاة ان يؤدي ذلك الى إضعاف الاتحاد السوفياتي وإنهاكه . و « ب » إلقاء القنابل الذرية على اليابان ، وهي بادرة لم يكن لها اي ضرورة عسكرية بالنسبة الى تلك البلاد ، وانما قُصد بها الى التهويل على الاتحاد السوفياتي ، على ما يُفهم من كلام قاله الرئيس ترومان في بوتسدام اثناء مباحثاته مع الزعماء السوفيات : « إذا انفجرت هذه القنبلة كما ارجو ان تنفجر فستصبح في يدي مطرقة " أحطم بها رؤوس هؤلاء الصبية » ... *

وقد جاءت جميع التطورات التي تمت منذ ذلك الحين وفق هذه الستراتيجية . وانه ليتعينُ على المرء ان يُلمّ بها لكي يفهم

* Jonathan Daniels, *The Man of Independence*, p. 266, N. Y., 1950.

تفصيلات السياسة - مشروع مارشال ، الحلف الاطلسي ، الحرب ضد كوريا الخ ... فلهذه جميعاً مكانها في ستراتيجية السيطرة على العالم ، ولهذه جميعاً مكانها في الاستعداد للمرحلة النهائية من الخطة ، اعني الحرب ضد الاتحاد السوفياتي ، والجمهوريات الشعبية في شرقي اوروبة ، والصين .

والحقّ ان هذه الستراتيجية لم تقدّم يوماً الى الشعب الاميركي . ان الناطقين الرسميين بلسان وول ستريت ليواصلون إسماع الشعب نغمات رسالتهم الهادفة الى « زعامة العالم » ، ولكنهم يعرضون عليه هذه « الزعامة » ملونة باروع الاصباغ الاخلاقيـــة لـكي يكموا افواه المعارضين لاصطناع الدولة اداةً لفتح العالم ، ويحملوا الشعب الاميركي على الرضا باستعمال القنبلة الذرية ضد العزل والابرياء .

إسمع الى الرئيس ترومان يقول بلسان محتكري وول ستريت في مناسبات مختلفات :

« **ان العالم ليتطلع الينا اليوم لزعامته** ... ان جوهر سياستنا الخارجية هو السلام . » *

« **إن شعوب الارض ... لتتلعُ أعناقها اليوم الى الولايات المتحدة اكثر مما فعلت في اي وقت مضى ، مكبرة فيها حبهـــا للخير وقوتها وزعامتها الحكيمة** . فنحن لم نطمع بارض أحد ، ولم نفرض ارادتنا على احد . ان الاستعمار القديم - الاستغلال من اجل الربح الشخصي - لا محل له في خططنا . » **

---

* Harry S. Truman, State of the Union Message, Jan. 6, 1949.

** Truman, Inaugural Adress, Jan. 20, 1949.

« وفي صوغ النتيجة سيمثل شعب الولايات المتحدة دوراً رئيسياً . . . إن جميع الناس خُلقوا متساوين ... وان لهم الحق في الحياة ، والحرية ، والتماس السعادة على قدم المساواة ... اننا لا نستطيع أن نغضي عن العسف أو الطغيان ... ويتعين علينا ان نلقي بثقلنا في كفة الحرية الكبرى والعمل لضمان حياة أفضل لجميع الشعوب ... [لنُرضي] تلك الذات الكلية القدرة التي وضعت أمامنا مثل هذه الفرص الضخمة لخدمة النوع الانساني في مقبلات الايام . » ✲

لا الاستعمار ، ولكن « الزعامة » ... لا الاستغلال ، ولكن « الحرية والعمل من اجل حياة افضل » ... لاحرب الفتح المبيّتة، ولكن « السلام » . تلك هي اذن اغراض الولايات المتحدة !

وقد عبّر عن جوهر الاندفاع الاميركي في سبيل السيطرة على العالم أحسنَ التعبير رجلٌ لم يلعب احدٌ مثل دورهِ الشخصيّ في العمل على التمكين للرساميل الأميركية في العالم، اعني ليو ويلتش Leo D. Weltch امين صندوق شركة ستاندرد للنفط (نيو جيرزي) الذي صرف منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ملياراً من الدولارات وظفتها الشركة في المشروعات الخارجية ، وقبض مليارَ دولار تقريباً من ارباح تلك المشروعات حتى الآن ...

ففي اواخر سنة ١٩٤٦ ، بينا كانت الخطوط الكبرى لسياستنا الخارجية رهن التحديد ، تحدث ويلتش ايضاً عن «الزعامة» ولكنه عرّفها تعريفاً أصرح وأوضح ، قال :

✲ Truman, State of the Union Message, Jan. 5, 1950.

« ... تلك التبعة هي الزعامة الايجابية القوية في شؤون العالم – سياسية ً واجتماعية ً واقتصادية ً – وإن من واجبنا ان نحقّقها بأوسع ما تحتمله الكلمة من معنى . **إن علينا ، بوصفنا اكثر دول الارض إنتاجاً ، واقواها رساميل ، واغناها بالصناعة الآلية، ان نحزم امرنا ونتحمل المسؤولية التي يلقيها على عاتقنا كوننا نملك غالبية الاسهم في تلك الشركة الكبرى التي يطلقون عليها اسم العالم** .... وليس ينبغي ان يكون ذلك الى أجل مسمّى . إنه واجب سرمديّ لا يجوز التفريط فيه . » *

لقد تحدث هتلر عن الرايخ الذي سيعمّر الف سنة. أما ويلتش فيتحدث عن حكم وول ستريت السرمدي . ولا تسخر من هذه الغطرسة . فقد كان ويلتش منهمكاً في رسْم السياسات التي يتعيّن على وول ستريت انتهاجها، وهي سياسات اتُّبِعت في امانة واخلاص ، وإنها لتنطوي على خطر حرب عالمية ماحقة .

وحث ويلتش زملاءه من رجال المال على ان يفيقوا من سباتهم الطويل ، وطلب اليهم ان لا يقعدوا بعد اليوم وينتظروا انهيار الرأسمالية ، لأن مصلحتهم تقضي بأن يتخذوا هم موقف الهجوم :

«واذن فالمشروعات المالية الاميركية الخاصة بين امرين اثنين: إما ان تضرب ضربتها وتنقذ مركزها في طول العالم وعرضه، وإما أن تواصل استرخاءها وتشهد جنازتها بأم عينها .... والواقع ان سياستنا الخارجية سوف تكون في المستقبل اكثر اهتماماً بسلامة

* Leo D. Welch at National Foreign Trade Convention, Nov. 12, 1946.

رساميلنا الموظفة في الخارج واستقرارها ، مما كانت في ايما وقت مضى . وليس من ريب في ان احترام رساميلنا تلك لا يقل اهمية عن احترام مبادئنا السياسية ...» *

ولكن ما هي الاجزاء الرئيسية التي تؤلف ستراتيجية التوسع غير المحدود ؟ لقد عالج جوردان هذه المسألة منذ سنة ١٩٤٠ فقال :

« اذا راجعنا صفحات الاختبار البريطاني عرفنا بعض الاشياء التي قد تعنيها تبعة الرجل الابيض هذه حين نتصدر لحملها . إنهـا تنطوي على مسؤولية ضخمة قوامها جمع الموارد المالية التي تستند اليها واستخدامها وحفظها . » **

ان على الدولة أن تعبيء عدة مليارات، كما هو واقع في مشروع مارشال ، لتعزز سيطرة الرساميل الاميركية على البلدان الاخرى . ولكن هذا ليس كل شيء « فنحن نعرف من بعض الصفحات الأشد سواداً في التجربة البريطانية خلال القرن الماضي انها تنطوي عـلى الاحتفاظ بقوى بشرية وآلية ضخمة لا لمجرد الدفـاع الوطني **بل لكي تتم لنا سلطة دولية فعالة ومستمرة تمكننا من إقرار السلم والنظام .** » ***

وهكذا يتعين على الاستعمار الاميركي، بوصفه الاستعمار الغالب، ان يسيطر عـلى العالم عسكرياً . إن عليه ان ينشيء قوة مسلحة

---

* المصدر السابق نفسه .

** Virgil Jordan, at Investment Bankers Association, N. Y., Dec. 10, 1940.

*** المصدر السابق نفسه .

هائلة لا للدفاع الوطني ، ولكن للعدوان ، لفَرْض سلطان الولايات المتحدة في كل مكان .

ولم يكن في ميسور جوردان أن يتنبأ ، سنة ١٩٤٠ ، بالخصم الألدّ الذي ينبغي على قوات الاستعمار الاميركي المسلحة ان تُوَجّه لحربه . حتى اذا انقضت ستّ سنوات لم يبق ثمة تردّد أو ريب . فقد أوضح ويلتش لمستمعيه من كبار رجال المال والاعمال بعض العقبات التي تنهض في طريق المستعمرين الاميركيين من مثل نضال العمال في سبيل أجور أعلى ومن اجل الاشتراكية ، وكفاح الشعوب المستعبدة من اجل التحرر الوطني ، ومقاومة الدول الاستعمارية المنافسة لوول ستريت الذي يعمل على زحزحتها عن مكانتها . ولكن العدوّ الرئيسي كان محدداً أتم التحديد في ذهنه :

« إن جميع هذه القوى لتتضاءل في ظلّ النضال الكبير بين الاتحاد السوفياتي والدول الغربية ، هذا النضال الذي تصل ارتجاجاته الى كل زاوية من زوايا الكرة الارضية . »

٦ . محاولة استعمار اوروبة

•

تحتل اوروبة الغربية المحل الاول في برنامج وول ستريت للسيطرة على العالم . ولا غرابة في ذلك فهي تملك صناعةً متطوّرة ويداً عاملةً بارعة خليقتين بان تجعلاها مصدراً من مصادر الربح الفاحش لمن يستطيع أن يهبط بها الى وضع استعماري او شبه استعماري . انها ، بما تملك من امبراطورياتٍ قديمة، مفتاحُ السيطرة على قسم كبير من افريقية وآسية. ليس هذا فحسب بل ان اوروبة الغربية بفضل موقعها ونظام الصناعة والمواصلات فيها ، وقوتها البشرية في ميداني الصناعة والحرب ، هي القاعدة المنطقية الرئيسية للحرب المبيتة ضد الاتحاد السوفياتي .

والواقع أن مصالح وول ستريت في اوروبة ليست جديدة . فبعد الحرب العالمية الاولى أنفقت حكومة الولايات المتحدة عدة مليارات من الدولارات لمساعدة المستعمرين الاوروبيين على خنق الثورات في هنغارية وبولندة وفنلندة ، وابتغاء القضاء على الجمهورية السوفياتية الناشئة . حتى اذا توطدت دعائم الحكم الرأسمالي توطداً موقتاً في القسم الاكبر من اوروبة - وذلك حوالى سنة ١٩٢٣ - وظفت الشركات الاميركية عدة مليارات من الدولارات في

المانية ، وانكلترة ، وفرنسة ، وايطالية ، وغيرها من البلدان الاوروبية .

لقد كان الاستعمار الاميركي من القوة بمحلٍّ استطـاع معه ولوج اوروبة ، ولكنه كان لا يزال أعجز من ان يحاول بسط سلطانه عليها . وكانت الرساميل التي وظفها في تلك القارة غـير كافية لفرض سيطرة وول ستريت على صناعاتها الرئيسية . كذلك احتفظت البلدان الاوروبية بقوى مسلحة ضخمة وبحياتها السياسية الخاصة . ولم تُقم القوات الاميركية فترةً طويلة في اوروبة بعد انقضاء الحرب العالمية الاولى .

أما الحرب العالمية الثانية فقد نتج عنها توازنٌ جديد في القوى بلغ الاستعمار الاميركي بفضله تلك المرحلة التي عجز عن بلوغهـا عقب الحرب العالمية الاولى : أعني مرحلة القيام بمحاولةٍ لاستعمار اوروبة . وهكذا عبأت الحكومة ، وفقاً لتوجيهات وول ستريت التي عـبّر عنها فيرجيل جوردان ٭ ، عشرات المليارات من الدولارات لتمويل هـذه المحاولة ، وقدّمتها في شكل قروض وهبات الى بلدان اوروبة الرأسمالية . اما الشعب الاميركي فقـد قيل له ان هذه المليارات أُنفِقت لأطعام الشعوب الجائعة ، وانقاذ المؤسسات الحرة ، وصيانة استقلال هاتيك البلدان من العدوان . ولكن الغرض الحقيقي كان عكس ذلك .

والاستعمار الاميركي يصطنع أساليب مختلفة في محاولة فتح اوروبة . وتنتظم هذه الاساليبُ الاتفاقات المالية المعقودة مـع

٭ راجع الفصل السابق .

بعض الدول الاوروبية المفردة ، ومبدأ ترومان في اليونان وتركية ، ومشروع مارشال الذي يستغرق اوروبة الرأسمالية بكاملها وينطوي على انفاق ما يزيد على خمسة عشر مليار دولار ، وحلف شمالي الاطلسي الذي ما برح ينمو ويتسع من حيث نطاق العمل ومداه.

ولهذه البرامج كلها مجموعة واحدة من الاهداف :

١. السيطرة السياسية على اوروبة ،

٢. السيطرة الاقتصادية على اوروبة ،

٣. الاستيلاء على المستعمرات الاوروبية ،

٤. إعداد القواعد العسكرية للحرب ضد الاتحاد السوفياتي .

اسلوب الفتح التدريجي

وتصطنع الولايات المتحدة اسلوب الفتح التدريجي لبلوغ هذه الاهداف الاربعة . فاذا اخذنا بريطانية مثلاً وجدنا ان اتفاقية القرض المعقودة بينها وبين الولايات المتحدة سنة ١٩٤٥ ، لم تفرض عليها غير بعض الشروط العامة . ولكن هذه الشروط اضعفت الاستقلال البريطاني الى درجة حملت لندن على ان ترتضي شروطاً اقسى واعنف ، في ظل مشروع مارشال . وما هي الا فترة حتى وجدت الحكومة البريطانية نفسها مضطرة الى القبول بحلف شمالي الاطلسي واتفاقات العون التي انطوى عليها .

ولسنا نجانب الحقيقة إذا قلنا ان بريطانية انتهت اليوم الى ان تصبح عضواً في « كومونولث الولايات المتحدة » ، وان استقلالها عن سيدتها قد يكون اوفر بعض الشيء من الاستقلال الذي كان

للهند في الامبراطورية البريطانية القديمة ، ولكنه اقـــل بعض الشيء من الاستقلال الذي تمتعت به اوسترالية في تلك الامبراطورية. وليس ذلك ، في الحق ، شيئاً قليـلاً بالنسبة الى دولة كانت سيدة البحار في يوم من الايام ...

وسنعالج في بقية هذا الفصل هذا الاستعمار التدريجي لأوروبة من زاوية السيطرة السياسية عليها .

التعاون مع العناصر الرجعية

ان سيطرة الاستعمار الاميركي السياسية على أوروبة الغربيـة بدأت خلال الحرب العالمية الثانية. وتفصيل ذلك ان نضال الشعوب الاوروبية ضد الاستعمار الالماني كان ، في الوقت نفسه، نضالاً ضدّ الاستعماريين « الوطنيين » الذين تعاونوا مـع الغازي ، وساعدوه على استعباد الشعب .

ففي فرنسة وضعت قوى التحرير المؤيدة من كثرة السكان الكبيرة منهاجاً يهدف الى تأميم الصناعات الرئيسية وصيانة استقلال البلاد . وفي ايطاليـة اقرت « لجنة التحرير الوطني » برنامجاً ضخماً ينتظم تأميم الصناعات الاساسية واجراء إصلاح جذري في ما يتصل بملكية الاراضي .

ومثلُ هذا التوازن في القوى حصلَ ايضاً في بلدان أوروبـة الشرقية. فههنا سمحت الجيوش السوفياتية للقوى المناوئة للاستعمار بأن تُنزل العقاب باولئك الذين تعاونوا مع الفاشستيين ، وأمدت الشعب بالسلاح وبالعون الاقتصـــادي اللذين يمكنانه من توطيد

حكمه وسلطانه .

اما مهمة الجيوش البريطانية الاميركية فكانت على خلاف ذلك تماماً : ان تحول دون تحرير البلدان التي احتلتها . ومن هنا اصرّت على تجريد قوى المقاومة الشعبية من السلاح ، وحملت معها قوات كانت الحكومات الرجعية المهاجرة قد جمعتها وزوّدتها بالاسلحة الاميركية . ليس هذا فحسب بل لقد تعاونت الجيوش البريطانية والاميركية ، في جميع المواطن التي احتلتها ، مع جمهرة السياسيين والرأسماليين الرجعيين ورفعتهم الى مراكز السلطة والحكم ...

وفي اليونان وبلجيكة جرّدت الجيوش البريطانية جماهير الشعب من السلاح ، عنوةً واقتداراً ، واقامت في الأولى نظاماً ملكياً فاشستياً بقوة الحراب . اما في فرنسة وايطالية فارتضت الجماهير ان يُنزَعَ منها سلاحها ، واجريت انتخابات نيابية . ولكن الرجعيين ظلوا يحتلون المراكز الحاسمة في الدولة ...

وطبيعي ان تفقد الحكومات الرأسمالية التي نصّبها التواطؤ البريطاني الاميركي حرّيتها واستقلالها . فقد كانت خاضعة لسيطرة لندن وواشنطون ، ولسيطرة هذه الأخيرة على الخصوص بعد ان لجأت اليها في طلب المساعدة الاقتصادية والعسكرية ابتغاء إحياء مصانعها والاحتفاظ بامبراطورياتها الاستعمارية .

وإنما تمّ التمكين للقوى الاستعمارية ، في معظم اجزاء أوروبة ، بواسطة قوات بريطانية واميركية مشتركة . وقد رافق ذلك صراعٌ بين الاستعمار البريطاني والاستعمار الاميركي للسيطرة على

اورروبة . ولكن الاستعمار البريطاني كانت تعوزه الموارد المالية والعسكرية، فلم يكن بدّ من انكفائه في وجه المنافسة الاميركية. وفي ألمانية دُمجت منطقتا الاحتلال البريطانية والاميركية ، سنة ١٩٤٦ ، بشروط جعلت الاميركيين اصحاب الكلمة العليا بفضل مركزهم المالي المتفوق . كذلك انقلب الاحتلال الانكليزي الاميركي لايطالية الى سيطرة اميركية مطلقة، وأسلمَ البريطانيون اليونانَ للاحتلال الاميركي (مبدأ ترومان) .

ولم يدشن مبدأ ترومان سياسة العنف الاستعمارية الاميركية في اوروبة فحسب، بل كان نذيراً بطورٍ جديد من أطوار سيطرة اميركة السياسية المتعاظمة على اوروبة الغربية . فلم تكد حكومة الولايات المتحدة تتدخل في اليونان حتى اصدرت امرها بأقصاء الشيوعيين عن جميع الحكومات المؤتلفة في البلدان الخاضعة لنفوذ واشنطون ؛ وفي ربيع ١٩٤٧ اخرِج الشيوعيون من حكومات بلجيكة ، وفرنسة ، وايطالية ، وتشيلي. وقد أتبِعت هذه الخطوة بحملةٍ من الاضطهاد المكشوف وجهتها تلك الحكومات الى النقابات العمالية ، وبموجة من العنف المسلح حاول الحاكمون ان يضعوا بواسطتها حداً لأضرابات العمال المتكررة .

تعاظمُ السيطرة السياسية

ويلعب مشروع مارشال دوراً كبيراً في اخضاع اوروبة لسيطرة الولايات المتحدة . ذلك بأن جميع الحكومات التي رفعها هذا المشروع الى دست السلطة مستعدة لأن تبيع استقلال شعوبها

بمولاً عند اوامر واشنطون . وإحدى الطرق المؤدية الى ذلك هي توقيع الاتفاقات غير المتكافئة .

والواقع ان الحكومة الفرنسية أذعنت لسلسلة من التنظيمات التي أوحت واشنطون بتطبيقها في ألمانية الغربية ، والتي ادّت الى تقوية العدو القديم ، الاستعمار الالماني ، على حساب فرنسة . وكذلك وقعت جميع الحكومات المشمولة بمشروع مارشال على اتفاقات منفردة مع الولايات المتحدة تنازلت بموجبها عن جزء كبير من سيادتها في الشؤون الداخلية .

وهذه الاتفاقيات تعطي واشنطون الحقّ في إيفاد البعثات الخاصة ذات الامتيازات الديبلوماسية الى البلدان الموقعة عليها . وتجيز لاعضاء هذه البعثات ولرجال الكونغرس ومساعديهم ان يقصدوا الى كل مكان ، وان يشاهدوا كل شيء ، وأن يطلبوا الى حكومات تلك البلدان تسهيل مهماتهم على اختلافها . والحقّ ان بلدان اوروبة الغربية لتغصّ اليوم بالموظفين ورجال الاعمال الاميركيين الذين يهبطونها في كبرياء السيد وعجرفة المتفضل ، كما كان « السياح » النازيون يفعلون في البلدان التي اعتزم الاستعمار الالماني فتحها . ليس هذا فحسب ، بل إن هذه الاتفاقيات تمنح حكومة الولايات المتحدة سلطةً فعالة على السياسات المالية الخاصة ببلدان المشروع ، وتحظر على الحكومات الاوروبية حماية رأسماليها من مزاحمة الشركات الاحتكارية الاميركية .

وقد حاولت الحكومة الفرنسية ان تعطل احكام اتفاقية مشروع مارشال التي وقعت عليها خوفاً من نقمة الشعب الفرنسي الذي

يضع استقلاله الوطني فوق كل اعتبار .

وقد تدهش اذا علمت ان اصغر موظف اميركي يقيم في اوروبة باسم مشروع مارشال ليستشعرُ انه حرٌ في تحــدّي الحكومة الاوروبية التي يعمل في ظلها ، وانتقادها . وسنجتزيء هنا بمثل واحد على ذلك. فنزولاً عند إرادة المشرفين على مشروع مارشال، وازنت الحكومة الايطالية موازنتها وثبتت نقدها عــلى حساب الشعب الايطالي ، ولجأت الى تدابير «توفيرية» مختلفة زادت ازمة البطالة حدّةً وخطراً ، وتركت البلاد مُشرعة الابواب في وجه السلع والرساميل الاميركية . ولكن واشنطون ما لبثت ان رغبت ، خريف سنة ١٩٥٠ ، في ان تشجع انتاج ايطالية الحربي ، وهي رغبة تقتضي سياساتٍ مختلفةً بالكلية . فما كان من ليون دايتون Dayton ، رئيس بعثة مشروع مــارشال في ايطالية ، إلا ان شن هجوماً عنيفاً على الحكومة الايطالية لاتباعها تلك السياسات التي أمرت بها حكومته نفسُها في وقتٍ من الاوقات. ومن عجبٍ ان الحكومة الايطالية لم تطالب باقالة هذا الموظف ، بل اكتفت بان دافعت عن مسلكها ، زاعمةً انها قد عملت من قبل على انتهاج السياسة التي يطالبها دايتون الآن بانتهاجها ، وبذلك مهدت السبيل لتكييف نفسها وفق التحول الجديد في السياسة الاميركية ☆ . وفي الوقت نفسه تقريباً هــددت واشنطون بالتوقف عن شحن المساعدات التي يقضي بها مشروع مارشال الى اليونان اذا لم تقلع حكومة تلك البلاد عن «تقصيرها» في تنفيذ بعض التعليمات الصادرة

☆ *New York Times*, Oct. 3, 6, 1950.

اليها من ادارة المشروع . ومـا هي الا اسابيع معدودات حتى أعِدّ تشريعٌ تبنّت فيه الحكومة اليونانية مطالب الولايات المتحدة.

أما في المانية الواقعة تحت الاحتلال العسكري المباشر ، وفي اليونان الخاضعة لمراقبة « المستشارين » العسكريين والمدنيين فان سلطان اميركة السياسي يذهب الى حدّ تسمية الوزراء ، ورؤساء الوزراء ، واركان الجيش . وفي سنــة ١٩٤٩ اقامت الولايات المتحدة وبريطانية وفرنسة دولة المانية غربية تسيطر القوات المحتلة على سياستها التشريعية والتجارية والخارجية وعلى دفاعها الوطني .

« توحيد » اوروبة

وإنما تحاول الولايات المتحدة أن تفرض سيطرتهـا الاستعمارية على اوروبة الرأسمالية كلها تحت شعار « الوحــدة » الاوروبية ، زاعمةً ان دول اوروبة المتعددة أصغر من ان تستطيع الحيــاة منفردةً وأن عليها ان تندمج في دولة « أطلسية » كبرى تكون الكلمة العليا فيها لواشنطون .

ويعقد الاستعماريون الاميركيون مقارنةً مغلوطة بين هذه الوحدة الاوروبية والاتحاد الفدرالي القائم بين ولاياتنا الاميركية. ذلك بان تلك الخطوة انما تمّت في فترة مبكرة من الرأسمالية عندما اندمجت عناصر شعبٍ ذي اقليم مشترك ، ولغة مشتركة ، وثقافة مشتركة ، واقتصاد مشترك ، في دولة واحــدة قضى تطوّر الرأسمالية تطوراً كامــلاً بقيامها . وقد اجتازت مختلف الدول الاوروبية هذه المرحلة نفسها منذ زمن طويل ، فمر بها بعضها قبل

الولايات المتحدة ، ومر بها بعضها الآخر بعدها بقليل .

والواقع ان لينين نادى بالوحدة الاوروبية خـلال الحرب العالمية الاولى . وقد انطوت دعوته لا على دمج الشعوب ذات اللغة المشتركة واسلوب العيش المشترك في وحدة سياسية ، بل على تزاوج الامم ذوات اللغات المختلفة ، والثقافات المختلفة ، والاقتصاديات المختلفة في وحدة سياسية مفردة . ففي ظل الرأسمالية لا يُعتبر دمج الامم المختلفة في دولة واحدة خطوة تقدمية ، بل خطوة رجعية . انها تنطوي من غير ريب على سيطرة الأمم الكبرى على الامم الصغرى ، وهو ضرب مقنّع من الاستعمار .

والواقع ان الاستعماريين الاميركيين سعوا منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، سعياً حثيثاً لتوحيد اوروبة الرأسمالية : فاجريت محادثاتٌ لالغاء الحواجز الجمركيـة ، وانشاء مجلس لأوروبة ، ومنظمة للتعاون الأوروبي الاقتصادي . ولكن هذه الجهود كلها تحطمت على صخرة الخلافات القائمة بين مختلف المجموعات الاوروبية الرأسمالية ، وحرص الشعوب الاوروبية على استقلالها الوطني .

وقد شكا جون فوستر دولز ، احد واضعي التصاميم البارزين لفرض سلطان وول ستريت على العالم ، من هذا الاخفاق وعبّر عن عزم الاستعمار الاميركي على دمج الدول الاوروبية بعضها ببعض ، زاعماً ان لنا « الحق » في ذلك « لاننا قد وظفنا رساميل هائلة في اوروبة الغربية » و « بسببٍ من روابط الدم التي تصل ما بين شعبنا وشعوب اوروبة . » وهو يصر على ضرورة اصطناع « الضغط القويّ » للتغلب على مقاومة الشعوب لهـذا المشروع ،

عاذراً اولي الامر الاوروبيين الذين صرحوا له بان شعوبهم لا تسمح لهم بان يخطوا الخطوة الأولى في سبيل الوحدة الاوروبية و « ان الولايات المتحدة يجب ان تدفعنا . » ولم يخيب دولز آمال هؤلاء الساسة فاذا هو يقول في صراحة بالغة : « ليس في وسعنا ان نتشبث في هذه الفترة الخطيرة ، باهداب الرسميات . ونحن لم نبذل ما بذلناه من جهود جبارة في الغرب ، عقب الحرب العالمية الثانية ، لنكسب مباراةً في الشعبية ... فالشعبية ، حتى لو استطعنا ان نشتريها باموالنا، لا تستحق ان يُنفق من اجلها ٢٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار . ثم اننا لا نتمتع بشعبية حسنة في هذه الأيام ... اننا نرغب في ان نقوم بمهمة كاملة حتى يكون في ميسورنا ان نتركها بعدُ ونوجه اهتمامنا وعوننا المادي نحو الاوضاع الملحة في مواطن اخرى ، وبخاصة في المحيط الاطلسي والشرق الاقصى . » *

والواقع ان محاولة توحيد اوروبة على طريقة دولز واتشيسون لتقومُ من وجهة النظر السياسية على اساس إحياء الصناعة الالمانية العدوانية ، كما جرى بعد الحرب العالمية الاولى ، ولكن مع هذا الفرق ، وهو ان امراء وول ستريت لن يكتفوا هذه المرة باحياء الصناعة الالمانية ولكنهم عازمون على ان يفرضوا اسيادتهم على الرور ، ومن ثم على اوروبة الرأسمالية كلها . والمكانة الرئيسية التي تحتلها المانية في خطط وول ستريت إنما تتجلى بشكل صارخ في تصريحات الناطقين باسم رأس المال الاميركي ، من هربرت هوفر سنة ١٩٤٦ ، الى اتشيسون سنة ١٩٤٧ ، الى دولز سنة ١٩٥٠ .

---

* John Foster Dulles, *War or Peace*, p. 215, N.Y., 1950.

واسباب هذا الاهتمام كله بالمانية متعددة. فالاحتلال العسكري الصريح يجعل منها قاعدة ممتازة للعمليات الحربية. والرساميل الاميركية الموظفة في المانية الغربية اليوم تفوق الرساميل الاميركية الموظفة في بريطانية بعض الشيء، وتبلغ اضعاف تلك الموظفة في ايما بلد اوروبي آخر. ومن طريق هذه الرساميل، ومن طريق المحالفات الاقتصادية الدولية تمّت لوول ستريت صلات وثيقة باصحاب المصارف والمصانع في الرور. من اجل ذلك، وبسببٍ من طاقته الاقتصادية الضخمة، غدا الرور قاعدةً مثالية لاستعمار اوروبة القارية برمتها. اضف الى ذلك ان المانية الغربية هي معقل الفاشستية والضباط النازيين الراغبين في الثأر لهزيمتهم في الحرب العالمية الثانية، العاملين في خدمة الخطط الاستعمارية الاميركية لشن حرب عالمية على الاتحاد السوفياتي. وطبيعي ان يكون الرور هو المركز الرئيسي لكل دار صناعة او ترسانة arsenal تنشأ في اوروبة لشن تلك الحرب. ليس هذا فحسب، بل ان إحياء الرأسمالية الالمانية في ظل وول ستريت وتحت اشرافه خليق بان يُنزل الى الميدان منافساً قوياً للاستعمار البريطاني، وبان يقيم توازناً في القوى تستطيع الخطط الاستعمارية الاميركية ان تُخضع بواسطته الخصمين المتصارعين، لسلطانها، وهكذا يوضع الاستعماريون البريطانيون، بفضل الوحدة الاوروبية، في مركز يقضي عليهم بان يتنافسوا مع اصحاب الرساميل الالمانية على شرف الحصول على لقب الشريك الصغير لوول ستريت!!...

٧ . السيطرة الاقتصادية على أوروبة الغربية

●

وتجري سيطرة اميركة السياسية على اوروبة الغربية جنباً الى جنب مع سيطرة رأس المال الاميركي الاقتصادية على تلك البقعة من العالم .

ومن خلال الاتفاقات والخطط والصفقات التي وضعت بلدان مشروع مارشال تحت سلطة الولايات المتحدة تبدو للباحث بضع ظواهر عامة :

١. لقد قُصِد في كل من هذه الاتفاقات والخطط والصفقات ، الى ضمان ربحٍ عاجلٍ ضخم للشركات الاحتكارية الاميركية .

٢. لقد اخِذ بعين الاعتبار في كل منها إضعاف الاقتصاد الاوروبي وتقويض آساسه ، واستغلال طبقة العمال الاوروبيين استغلالاً إضافياً ، ومساعدة وول ستريت على امتلاك الصناعات الاوروبية .

٣. ان الهدف النهائي الذي ترمي اليه هذه الاتفاقات والخطط والصفقات جميعاً هو تحويل صناعة اوروبة الغربية الى ترسانة يسيطر عليها امراء وول ستريت ويفيدون منها في حال نشوب حرب عالمية جديدة .

وسنبحث فيما يلي بعض الخطوات الرئيسية في هذه العملية .

المبالغة في اغراق الاسواق

ان عشرات المليارات التي تألفت منها قروض الولايات المتحدة وهباتها بعد الحرب العالمية الثانية ، جعلت من اوروبة الغربية حقلاً مضموناً لاستهلاك الفائض من المنتجات الاميركية الصناعية والزراعية . والواقع ان ما بين ٦٠ الى ٨٠ بالمائة من مجموع صادرات الولايات المتحدة من الحبوب وفستق العبيد (الفول السوداني) ومنتجات النحاس والقمح والطحين والقطن والتبغ خلال التسعة الاشهر الاولى من سنة ١٩٤٩ أرسلت الى البلدان المشمولة بمشروع مارشال*

وهذه الصادرات كلها لم تُرسَل الى تلك البلدان لان شعوبها في حاجة اليها ، ولكنها ارسلت لان الاحتكارات الاميركية كانت تريد التخلص منها ، على ما يؤخذ من شهادة ادلى بها الكولونيل اندروز المسؤول عن تأمين الاغذية في شعبة التموين المدني التابعة للجيش الاميركي في المانية :

الكولونيل اندروز : الحق انهم لا يستطيعون ان يبيعوا هذا الفول السوداني في الولايات المتحدة لسبب واحد وهو غلاؤه ... انه غذاء جيد وإنه لتصنعُ منه زيوت ودهون ممتازة ، ولكن ليس ثمة مكان على ظهر هذا الكوكب يمكن ان يُرسل اليه هذا الفول

* E. C. A., *18 th Report for the Public Advisory Board*, Dec., 1949. cover page.

السوداني لو لم نأخذه نحن .

النائب الجمهوري تابر (نيويورك) : بمثل ذلك السعر .

الكولونيل اندروز : أجل بذلك السعر ، ان لم يُوسل الى المانية . لقد كان على الجيش ان يأخذه من دون سائر الناس .

النائب الجمهوري غاري (فرجينيا) : هل تعني انهم أبوا ان يبيعوكم منتجات اخرى ما لم تشتروا فستق العبيد هذا ؟

الكولونيل اندروز : لكي نحصل على حصة من هذه الزيوت من وزارة الزراعة اظن ان من الصواب الزعم انه كان علينا ، عملياً ، ان نقول : «لا بأس ، سنأخذ مقداراً من فولكم السوداني .» لقد التمستُ منهم ان يعطوني بعض شحم الخنزير واضرابه فكان جوابهم : « لن نسمح بتصدير أيما كمية من شحم الخنزير ؛ ان في استطاعتك ان تأخذ كمية من فستق العبيد. » وهكذا قلت : «اذن أعطونا اياها ... »*

والواقع أن المنتجات الفائضة التي اغرِقت بها ألمانية سنة ١٩٤٨ اشتملت على ٢٣٦،٩١٤،٠٨٦ رطلا (انكليزياً) من فستق العبيد غير المقشور ، و ٤٤٣،١٠٩،٠٧٨ رطلا من الخوخ والعنب والتين والدراق والمشمش المجفف و ١٠،٨٠١،٤٢٤ من العسل . وحتى هذه المقادير كلها لم ترض اصحاب الجنائن الذين وفدوا على واشنطون في اوائل سنة ١٩٤٩ وهدّدوا بقطع ٢٨ بالمائة من اشجارهم المثمرة إذا لم تزد السلطاتُ المشرفة على مشروع مارشال الكميات التي

---

* *Foreign Aid Appropriations Bill for 1950*, Hearings cited, pp. 914-15.

تصدّرها من الفاكهة المجففة .

وليس من ريب في ان موجة التصدير هذه لم تساعد شعوب البلدان الداخلة في نطاق مشروع مارشال بل اوقعت بها اذى كبيراً . ذلك انها انقصت الانتاج المحلي في أوروبة ، وضيقت نطاق الاستيراد من البلدان الاخرى . ليس هذا فحسب بل ان جماهير الشعب في الدول الاوروبية لم يكن في ميسورها ان تشتري السلع الاميركية لان السياسات التي فرضتها واشنطون ، بالتعاون مع الاحتكارات الاوروبية ، قضت بانقاص قوة العمال الشرائية الى حدٍ جعلهم عاجزين عن دفع الاثمان الغالية المحددة لتلك السلع.

وهاك مثلاً على ذلك : لقد رُكّز شحن الحبوب الاميركية الى ايطالية تركيزاً متعمداً في الفترة القصيرة التي سبقت انتخابات نيسان ١٩٤٨ . حتى إذا وصلت الشحنات الى الموانيء الايطالية استقبلها السفير الاميركي والموظفون الايطاليون بحملة صاخبة من الدعاية اديرت على محور اطعام الشعب الايطالي الجائع ...

وفي كانون الثاني سنة ١٩٥٠ كشفت برقية مرسلة الى « صحيفة التجارة » *Journal of Commerce* النيويوركية النقاب عن مصير تلك الحبوب. وقد جاء في هذه البرقية ان اربعين بالمائة من الشحنات التي تلقتها إيطالية خلال الخمسة عشر شهراً الاولى من تنفيذ مشروع مارشال ظلت غير مبيعة حتى نهاية تلك المدة . وبلغت النسبة حداً اعلى من ذلك بكثير في اصنافٍ من البضائع مخصوصةٍ ، كالحبوب والعقاقير وغيرها. وقد علقت « صحيفة التجارة » على ذلك بقولها :

« إن عجز الشعب الايطالي عن شراء قسم كبير من المنتجات

المرسلة اليه من قبل «ادارة التعاون الاقتصادي» قد خلق للحكومة الايطالية مشكلة رواج يصعب حلها . »

ولسنا في حاجة الى التأكيد أن الاحتكارات الاميركية قد جنت أرباحاً استثنائية من هذه السياسة . فقد بيعت هذه البضائع من شعوب اوروبة بأسعار أغلى من الاسعار العادية، وساعد تصديرها السخي على ايجاد جو من « القصور » shortage المصطنع في الولايات المتحدة نفسها استغلته الاحتكارات الاميركية لرفع الاسعار فوق مستوى القمم التي بلغتها أيام الحرب طوال سنوات متعددة ...

خفض الاجور

ومن الخطوات الأساسية في استعمار اوروبة إنقاصُ الأجور الحقيقية للعمال الأوروبيين وإنقاض ظهورهم بالعمل الثقيل بحيث ترتفع نسبة استغلالهم الى المستوى الذي بلغته في المناطق المستعمرة ونصف المستعمرة . وفي ذلك مايفسح المجال أمام الرأسماليين الأميركيين لانتزاع الارباح الفاحشة المألوفة من المشروعات الاجنبية .

ومما يدلك على ان نية الولايات المتحدة متجهة الى خفض مستوى العيش في أوروبة شهادة" أدلى بها بول هوفمان Hoffman ، مدير مشروع مارشال ، أمام لجنة من أعضاء الكونغرس :

«اذا اعتزمنا ان نمد اوروبة بالدولارات ، واعتزمت اوروبة ان تبلغ مانستطيع ان ندعوه المستوى المغلوط في العيش فعندئذ لاتكون العاقبة خيراً . وهكذا سعينا الى ان نقيم سقوفاً لمستويات العيش . »

وحدّد مساعده ريتشارد بيسيل Bissell ، تلك « السقوف » على الوجه التالي : **المطعم** - « هنا نستطيع ان نتخذ سنة ١٩٣٨ سقفاً او حداً اعلى » ؛ **المسكن** - « ادنى مما كان عليه في السنوات السابقة للحرب » ؛ **الملبس وبضائع الاستهلاك** - «إن استهلاك هذه السلع يجب ان يخفّض ، في معظم الأحوال ، الى مادون المستوى الذي كان عليه قبل الحرب على الرغم من تعاظم الحاجة اليها بسبب من ان الأوروبيين حُرِموها ، او كادوا ، خلال سنوات الحرب العجاف . » *

وهكذا قُدّر على طبقة العمال الأوروبيين التي عانت ماعانته طوال عشر سنوات من الازمة الاقتصادية وخمس سنوات من الحرب ان تقاسي آلاماً اعمق في ظلّ الاستعمار الاميركي الحديث !

أما الاساليب التي اصطنعها أمراء وول ستريت لكبت مستوى العيش فتشمل تجميد الاجور (وفرضها على العمال بالرصاص عند الاقتضاء) ورفع الأسعار ، وإثقال كاهل الطبقة العاملة في اوروبة بالضرائب الفادحة ، والنفقات العسكرية الباهظة ، وخفض قيمة النقد خفضاً متكرراً ...

ولننظر في النتيجة التي آلت اليها هذه الاساليب في انكلترة - شريكة الاستعمار الاميركي الصغرى - التي لاتزال تحصل على غنائم وافرة من امبراطوريتها الاستعمارية . ولنعتمد في ذلك شهادة الدكتور فيتزجيرالد ، الخبير الزراعيّ في مشروع مارشال ، الذي وصف حالة الغذاء في بريطانية كما كانت في اوائل سنة ١٩٤٩ ،

* *Foreign Aid Appropriations Bill for 1950*. pp. 58-59.

قبل تخفيض قيمة الجنيه ، وقبل التعبئة العسكرية التي أمرت بها واشنطون سنة ١٩٥٠ ، فقال :

« ... إنّ التغير الذي طرأ على نوعية الاغذية ليتجلى لنا إذا ألقينا نظرةً على بعض التغيرات التي المّت بمواد الغذاء الفردي. فبالنسبة الى ما كانت عليه الحال قبل الحرب نجد ان متوسط استهلاك الفرد في المملكة المتحدة من مادة البطاطا قد ارتفع ٦٥٪ وان متوسط استهلاكه من الخبز زاد نحواً من ٢٥ ٪ في حين أن متوسط الاستهلاك الفردي من اللحم والسكّر والدهن والزيت (وبخاصةٍ اللحم) قد تدنّى تدنّياً كبيراً. فقد بلغ مجموع ما استهلكته بريطانية سنة ١٩٤٨ – ١٩٤٩ من اللحم نحو ٧٠ ٪ مما كانت تستهلكه في السنوات السابقة للحرب ؛ اما الآن ، وابتداء من مطلع نيسان ، فقد انخفض متوسط استهلاك الفرد البريطاني من اللحم الى درجة ادنى مما كان عليه في ايما وقتٍ مضى منذ اندلاع الحرب. »*

فاذا كان العمال البريطانيون يعانون من صرامة مشروع مارشال اكثر مما عانوا خلال سنوات الحرب فليس من ريب في ان الحالة في البلدان الاوروبية الاخرى يجب ان تكون اسوأ من ذلك بكثير.

ففي المانية الغربية كانت نسبة الاجور الحقيقية ، في حزيران سنة ١٩٤٩ - وفقاً لادق الاحصاءات واجدرها بالثقة – ١٣ ونصف ٪ أدنى من مستوى سنة ١٩٣٨ ** وكانت آنذاك قد انخفضت الى

---

* المصدر السابق نفسه ص ٣٠٨ .

** Office of Military Government for Germany (U. S.), *Report of the Military Governor*, Berlin, Aug.-Sept. 1949, p. 124.

ما دون مستوى الازمة الذي انتهت اليـــه سنة ١٩٣٢ ، بفضل تجميد هتلر للأجور .

واليك صورة عن الحياة في فرنسة كما رسمها الرأسمالي البارز ، أريك جونستون ، في مقال له :

« ليس من المبالغة ان نقول ان هوامش الربح نادراً ما تكون اقل من ٥٠ ٪ و كثيراً ما ترتفع الى ما فوق المائة بالمائة ، ولكن كثرة الشعب تكاد تشكو العوز والحرمان . إن الاغنياء ليزدادون اليوم غنىً ، وان الفقراء ليزدادون اليوم فقراً . والنتيجة النهائيـة لهذا الوضع يمكن ان تكون العنف – الفوضى – الشيوعية . » *

ويعترف تقرير رسمي اصدرته ادارة مشروع مارشال ان الاجور الحقيقية في خريف سنة ١٩٤٨ انتهت الى أن تكون ، في منطقة باريس ، دون مستوى ما قبـــل الحرب ، بنسبة ٥٠ ٪ . كذلك انخفض متوسط استهلاك الطعام ١٨ ٪ ، واكثر من ذلك بالنسبة الى العمال . ** وبعد ان يصف التقرير الاحوال البائسة التي يعيش العمال الفرنسيون في ظلهـا يخلص الى القول : « وقد ادى ذلك الى اثارة حفيظة العمال ، وهو يفسّر لنا تعاظم قوة الشيوعيين في الحقل السياسي ، وفي « اتحاد العمل العام » على السواء . »

وفي عددها الصادر في ٣١ آذار سنة ١٩٥٠ قارنت مجـلة «*U. S. News and World Report*» المحافظة بين الحياة المترفة التي تحياها الطبقة الحاكمة في ايطالية وبين حياة العمال الذين يبلغ متوسط

---

* Eric Johnston in *Fortune*, Feb., 1949, p. 120.
** E. C. A., *France, Country Study*, Feb., 1949, p.11.

أجر الواحد منهم أربعة دولارات ونصف اسبوعياً ، وحياة المزارعين الذين لا يزيد متوسط دخل الواحد منهم على مائة دولار سنوياً . *

ويتجلى لك اثر الاحتكارات الاميركية في هذا الفقر المدقع حين تقارن ما بين نِسَب الأجور الاميركية ونِسَب الأجور الاوروبية . ففي سنة ١٩٣٨ كانت اجور العمال البريطانيين والألمان والهولنديين تبلغ نصف أجور العمال في الولايات المتحدة تقريباً . حتى إذا دخلت سنة ١٩٤٩ صارت اجور العمال البريطانيين لا تكاد تبلغ ربع اجور زملائهم الاميركيين ، في حين امست اجور العمال الالمان خمس الاجور الاميركية ، واجور العمال الهولنديين سدسها تقريباً . **

سحق الاقتصاد الوطني

يزعم الناطقون بلسان واشنطون أن من همهم ان يساعدوا الدول الاوروبية على انماء انتاجها ، في حين ان اصحاب الرساميل المالية الاميركية يهدفون ، في الحقيقة ، الى إضعاف جميع مرافق الاقتصاد الوطني التي يمتلكها الاوروبيون انفسهم والقضاء عليها — وقد نجحوا في ذلك نجاحاً جزئياً — لكي يسيطروا على السوق الاوروبية سيطرةً كاملةً ويركزوا نشاط العمال الوطنيين في

* *U. S. News and World Report*, Mar. 31. 1950.

** اعتمدنا في هذه الارقام على منشورات مختلفة أصدرها المكتب الاميركي لاحصاءات العمل ، ومنظمة الامم المتحدة ، ومكتب الحكومة العسكرية الاميركية في المانية . [المؤلف]

العمل لحساب المشروعات التي تملكها الولايات المتحدة .

والواقع ان إغراق السوق الاوروبية بالمنتجات الزراعية قد رافقه حرمانها من المعدات الزراعيـة ابتغاء الحؤول دون نهوض الزراعة الاوروبية من كبْوَتها. فخلال السنة الاولى من مشروع مارشال طلبت البلدان الداخلة في المشـــروع ان تزوّدهـا الولايات المتحدة بمعدّات زراعية تبلـغ قيمتهـا ٣٧٠ مليون دولار* . فوافقت وزارة الخارجية الاميركية على إمداد بـلدان المشروع بما قيمته ١٣٣ مليون دولار . أمـــا ما شُحن فعلاً من هذه المعدات حتى ٣٠ حزيران سنة ١٩٤٩ فـلم تزد قيمته على ٤٠ مليون دولار . في حين بلغت قيمـة ما شُحِنَ الى بـلدان مشروع مارشال من التبغ ١١١ مليون دولار** اي ثلاثة أضعاف قيمة المشحون من المعـدات الزراعية تقريباً ، وذلك على حساب الاسواق الطبيعية للتبغ اليوناني والتركي.

ولقيت ضروب الصناعة التي يملكها الاوروبيون معاملةً مماثلة. ومن افضل الامثلة على ذلك محاولة وول ســـتريت القضاء على شركات الزيت الوطنية وصناعات الفحم التي يملكها الاوروبيون...

وقد فصّلنا الكلام في الفصل الثاني على توسّع الشـــركات الاميركية في إنتاج النفط توسعاً كبـــيراً ، وبخاصة في الشرق الأوسط . ولـكي تحقق هذه الشركات الربح الذي تطمع فيه من

* Committee of European Economic Cooperation, *General Report*, Vol. I. Paris, Sept., 1947 (in U. S. Dept. of State Publication 2930), p. 114.

** E. C. A., *Paid Slipments*, June, 30, 1949, p. 9.

وراء ذاك التوسّع تعيّن عليها ان تحاول السيطرة على المصافي والاسواق الاوروبيـة ، وعلى حساب الشـركات الوطنيـة ، والبريطانية الهولندية منها بخاصة . والحق ان مستر ويلتش امـين صنـدوق شركة ستاندرد أويل وزملاءه الذين احتاجوا الى مبـدأ ترومان لـكي يوطدوا مكانتهم في الشرق الأوسط كانوا في أمسّ الحاجة الى مشروع مارشال لـكي يستكملوا تلك المكانة في اوروبة. ولم يُطل ّصيف سنة ١٩٤٨ حتى كانت شركات النفط الاميركية تواجه ازمة حادّة ناشئةً عن الافراط في الانتاج . وعندئذ تصدّر مشروع مارشال لنجـدتها وإسعافها .

ومن عجب ان الشركات الاميركية تبيع نفط الشرق الأوسط في اوروبة -وهو لا يقتضيها غير نفقات دانية نسبياً- بنفس السعر المحدّد لنفط تكساس محققةً أرباحاً استعمارية فاحشة. ولـكي تفيد هذه الشركات اعظم الفائدة من اسواق مشروع مارشال المضمونة فقد عملت على مضاعفة مصافيها القائمة في اوروبة اربعة أمثال اويزيد.

وما هي إلا فترة حتى خضعت بلدان اوروبة القارّية لسلطان شركات النفط الاميركية المطلق. أما الاستعماريون البريطانيون فقاوموا هذا السلطان وحاولوا ان يحدّوا ، في مطلع سنة ١٩٥٠ ، من استيراد النفط الذي تملكه الرساميل الاميركية . فما كان من أعضاء مجلس الشيوخ الاميركي ، وعـلى رأسهم الشيخ توم كونالي ، إلا ان شنوا حملة شعواء على « سياسة التمييز هذه . » ليس هذا فحسب بل لقد اتخِـذت تدابير اقتصادية صارمة للانتقام من البريطانيين ، فلم تمض غير اشهر معدودات حتى القى البريطانيون

السلاح على اساس الشروط التي فرضتها الشركات الاميركية . إنهم لم يسمحوا للشركات الاميركية بان تستثمر نحو ٥٠ ٪ من اسواق المملكة المتحدة فحسب، بل فتحوا في وجهها اسواق المنطقة الاسترلينية التي كانت من قبل موصدة دونها .

وكان لتدفق النفط الاميركي اثره التدميري السيء في صناعة الفحم الاوروبية . ذلك ان اوروبة الفقيرة الى النفط تملك ثروة من الفحم ضخمة . ومنطق الاشياء يقضي بان تقتصد البلدان الاوروبية - اذا ما ارادت ان تستعيد استقلالها - في استعمال البترول وتُنفق جهداً جباراً للافادة الكاملة من مواردها الفحمية . ولكن إخضاع اوروبة لمشروع مارشال قادَ هذه القارة في طريقٍ معاكسة فاذا بالنفط يحل" محل" الفحم في سرعةٍ لم يُسبق الى مثلها من قبل ، وإذا بانتاج الفحم في البلدان التي ينتظمها مشروع مارشال ينقصُ في سنة ١٩٤٩ بنسبة ١٢ ٪ عما كان عليه سنة ١٩٣٧ *

الدولار يستعبد اوروبة

تذهب الدعاية الاميركية الى ان الغرض من « المعونة » التي تقدمها الولايات المتحدة الى البلدان الاوروبية مساعدةُ هذه البلدان على موازنة تجارتها الدولية وتحقيق استقرارها المالي" . والواقع ان الولايات المتحدة إنما تهدف من وراء ذلك الى ان تزيد في عدم توازن تجارة اوروبة الدولية ، وتضعف من طاقتها المالية ، وتفرض عليها سلطان الدولار ومصارف وول ستريت الكبرى .

---

* *Monthly Bulletin of Statistics*, Apr. 1950.

وإنما بدأ إضعاف الطاقة المالية الاوروبية في المراحل الاولى من الحرب العالمية الثانية ، عندما أكرهت انكلترة ، وفرنسة ، وهولندة وغيرها على ان تتنازل عن جزء من ذهبها و كثير مما تملك خارج بلادها من أموال ، مقابل حصولها على بعض الاسلحة والذخائر . وفي الوقت نفسه صادرت الحكومة الاميركية او الدول السائرة في ركابها الرساميل الالمانية واليابانية والايطالية الموظفة في الخارج ، في سهولة ويُسر .

واتسع نطاق هذه العملية عندما زحفت الجيوش الاميركية على اوروبة في أواخر الحرب العالمية الثانية . ذلك ان الضباط والجنود الاميركيين شرعوا يبيعون سلع الجيش من المواطنين الاوروبيين الذين كانوا في أمسّ الحاجة اليها . وقد بيعت هذه السلع بأسعار فاحشة وبالنقد الاوروبي المتدهور، ثم جاءت حكومة الولايات المتحدة فكافأت ابطال هذه السوق السوداء بأن حولت محصولهم الى دولارات على أساسٍ من الاسعار الرسمية للعملات الوطنية . واكرهت حكومات أوروبة الغربية على ان تعترف بتلك المليارات من الدولارات ديناً للولايات المتحدة عليها . وبعد مدة من الزمن انتزعت الولايات المتحدة بعض الامتيازات السياسية والاقتصادية الخطيرة مقابل شطب هذه « الديون » شطباً جزئياً .

وفي مدى سنة أو سنتين من انتهاء الحرب استُنفد كامل الاحتياطي الذي خلفه الاستعماريون الأوروبيون من طريق شراء السلع من الولايات المتحدة بأسعار باهظة ، في وقتٍ عدمت فيه

أوروبة الانتاج الصناعي الذي يساعدها على أداء قيمتها .

ووضع أمراء وول ستريت نصب أعينهم ، وهم يوزعون قروض مشروع مارشال ، هدفاً رئيسياً هو الحؤول دون إنهاض اوروبة من كبْوتها الاقتصادية . وليس يمتري اثنان في ان تحقيق التوازن في تجارة أوروبة الدولية يقتضيها ان تشتري أقل قدر ممكن من السلع من الولايات المتحدة ، واكبر قدر ممكن من السلع من البلدان الاخرى ذات المصلحة في ان تشتري من اوروبة الغربية بعض منتجاتها وأن تبيعها شيئاً من منتجاتها في وقت معاً . ومع ذلك فقد أُكرهت البلدان الاوروبية ، بعد ان اشترط عليها منظمو القروض الاميركية ذلك ، على ان تشارك في مفاوضات التعريفات والتجارة التي جرت برعاية الشركات الاحتكارية الاميركية . وكانت النتيجة التي انتهت اليها هذه المفاوضات أن اخذ الرأسماليون الاميركيون على شكل امتيازات ، اكثر من ثلاثة اضعاف ما أعطوا*، وأن فُتحت في وجوههم اسواق اوروبة وأسواق البلدان التي كان يسيطر عليها الرأسماليون الاوروبيون في ما غبر من سنين .

وأهم من هذا كله محاولة الاستعمار الاميركي القضاء على التبادل التجاري في ما بين اوروبة الرأسمالية واوروبة الاشتراكية . فبعد ان انتزع الاستعمار الاميركي من يد المستعمرين الاوروبيين أجزاء كبيرة من أسواقهم المستعمَرة ونصف المستعمَرة ، وانتزعت

---

* U. S. Dept. of State announcement in *New York Times*, Dec. 9, 1949.

حركات التحرر الوطني من ايديهم كثيراً من اسواقهم الآسيوية ، حاول هؤلاء المستعمرون الاوروبيون ان يعوضوا على أنفسهم من طريق التجـــارة مع الأسواق النامية في الاتحـــاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية . ولكن احد الشروط التي انطوت عليها اتفاقيات مشروع مارشال اكره دول اوروبة الرأسمالية على ان تقاطع العالم الاشتراكي ، اقتصادياً ، محرّماً عليها ان تبيع بـلدان هذا العالم شيئاً ما ، من العقاقير الطبيـــة إلى الآلات الكاتبة ، بوصفها « مواد حربية » ! وعلى الرغم من ان كثيراً من الرأسماليين الأوروبيين وُفقوا إلى خرق هذا الحصار الاقتصادي الذي ضربته واشنطون على بلدان الكتلة الشرقية فقـــد استطاعت السياسة الاميركية ان تعطل التجارة في ما بين اوروبة الشرقية واوروبة الغربية تعطيلاً كبيراً وبذلك خطت خطوات واسعة في سبيـل ما تسعى اليه من تقويض الاقتصاد الاوروبي الرأسمالي من آساسه .

والواقع ان احد التقارير الرسمية الصادرة عن منظمـة الامم المتحدة ، سنة ١٩٤٨، هاجم أعنف الهجوم تدخل الولايات المتحدة في شؤون التجارة ما بين اوروبة الشرقية واوروبة الغربيـــة . وأنذر التقرير بانه إذا لم تقلع الولايات المتحدة عن سياستها هـــذه فسيبقى الاقتصاد الاوروبي الوطني على حاله الحاضرة من العجز ، وستبقى بلدان اوروبة في حاجة ماسة الى المساعدات الخارجية* .

ومن طريق استنزاف احتياطي الذهب الاوروبي ، وتعطيل التجارة الاوروبية الدولية نجح أمراء وول ستريت في إضعاف

* U. N. *Economic Survey of Europe in 1949*, p. 164, Geneva, 1949.

العملات الاوروبية . وبقي عليهم ان يضربوا ضربتهم التي تُفقِد هذه العملات اعتبارها ، وتكرهها على الخضوع للتخفيض المتواصل، وتجعل الدولار وحده النقد المقبول في العالم الرأسمالي .

وفي نيسان ١٩٤٩ شنّت الحكومة الاميركية هجومها على الجنيه البريطاني . وقد جاء في صحيفة التجارة ما نصه:

« ان الولايات المتحدة تتخذ من خطر انحطاط الاقتصاد الاميركي سلاحاً قوياً في ضعفها المتكرر على الدول الاجنبية لتخفيض عملاتها ... وقد جعلت من « ادارة التعاون الاقتصادي » وسيلتها لشنّ هجومها الأمامي على بلدان اوروبة الغربية اولاً . » *

وبعد ذلك بقليل قصد وينتروب آلدريتش ، وهو من رجال الـ « تشايس ناشيونال بنك » (روكفلر) ، الى لندن ليقدّم الى حكومة العمال الشروط الاميركية . ولم يكتف الاميركيون بالغاء نصف مشترياتهم من بريطانية فحسب بل اجّلوا دفع قيمة البضائع التي سبق ان ارسلت اليهم ايضاً . ولم يكد يطلّ شهر ايلول حتى اضطرّ البريطانيون الى تخفيض سعر الجنيه من اربعة دولارات وثلاثة في المائة من الدولار (٤،٠٣) الى دولارين وثمانين في المائة من الدولار (٢،٨٠) ، وتخفيض سائر عملات الكتلة الاسترلينية بالنسبة نفسها . وما هي الا فترة حتى خفضت معظم الدول الرأسمالية الاخرى قيمة عملاتها .

وفي سنتي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ كان على المملكة المتحدة ان

* *Journal of Commerce*, Apr. 4, 1949.

تزيـــد صادراتها بنسبة السّدس عمّا كانت عليه قبل الحرب لـكي تغطي نفقات الكمية نفسها من الواردات * . اما في شباط سنة ١٩٥٠ ، وبعد تخفيض سعر الجنيه ، فقد تعيّن عليها ان تزيد صادراتها بنسبة الربع عمّا كانت عليـــه قبل الحرب لـكي تغطي نفقات الكمية نفسها من الواردات . **

وهـــذا التخفيض في سعر العملات الاوروبية جعلَ أجور العمال الاوروبيين أرخصَ في حساب الدولار ، ورخّص قيمة المصانع الـــتي يملكها الاوروبيون فصار في ميسور الرأسماليين الامـــيركيين ان يشتروها في سهولة ويسر ، واضاع ما بقي من ثقة الناس بالعملات الاوروبية .

---

* *Economic Survey of Europe in 1949*. p. 98.

** *Economist Records of Statistics Supplement*, Apr. 1, 1950. p. 299.

٨ . الولايات المتحدة ترث الامبراطوريات القديمة ...

•

إن محاولة استعمار أوروبة لا تقف عند حدودها القارية. فجميع الخطط الاميركية الرامية الى إخضاع الدول الاوروبية تشمل مستعمرات هذه الدول وأنصاف مستعمراتها ايضاً . وكل كسبٍ يحققه الاستعمار الاميركي في اوروبة يضعف من النفوذ الاوروبي في المستعمرات . وعكس ذلك صحيح ايضاً . فكل كسبٍ يتمّ لوول ستريت في المستعمرات يجعل السيطرة على اوروبة الرأسمالية أسهل وأيسر .

والواقع أن الحرب العالمية الثانية كانت ، جزئياً ، صراعاً من أجل الاستيلاء على هذه المستعمرات واقتسامها من جديد. فاحتلت ألمانية ، موقتاً ، اوروبة الشرقية وجزءاً من شمالي افريقية . واستولى اليابانيون موقتاً على عدةٍ من اغنى المستعمرات البريطانية والفرنسية والهولندية والاميركية في آسية . وعند انتهاء الحرب حاول البريطانيون والفرنسيون والهولنديون والاميركيون ان يستعيدوا مستعمراتهم السابقة ويضموا اليها غيرها على حساب خصومهم المغلوبين وعلى حساب بعضهم بعضاً .

ومهما يكن من امر فلم تستطع ايٌّ من الدول الاوروبية

ان تسترجع امبراطوريتها السابقة برمتها . فكانت اميركة هي الدولة الاستعمارية الوحيدة التي عادت عليها الحرب بكسبٍ ما وقد رأينا في الفصل الخامس كيف استغل امراء وول ستريت الحرب لانتزاع بعض القواعد العسكرية من حلفائهم والاستيلاء على كثير من اموالهم الموظفة في ما وراء البحار . وقد ذهبوا الى ابعد من ذلك ، في ما بعد ، على حساب حلفائهم السابقين وحساب اعدائهم في وقت معاً .

ولكن هذه التعديلات في ميزان القوى لم تكن ابرز نتائج الحرب واهمها . ذلك ان المكاسب التي تمّت لحركة التحرر الوطني المناوئة للاستعمار هي اعظم شأناً وابعد اثراً .

فقد أخرجت هذه المكاسب من جريدة البلدان المنكوبة بالاستغلال الاجنبي عدداً من دول اوروبة الشرقية وأحفل بلاد العالم بالسكان: الصين . وانقصت غنائم الاستعمار في عدد من البلدان التي لا يزال النضال المسلح دائراً فيها ، من مثل بورما والملايو (بريطانية) ، وفيات نام (فرنسة) ، وكوريا والفيليبين (الولايات المتحدة) .

وإذ كان الاستعماريون البريطانيون والفرنسيون وغيرهم أعجز من ان ينهضوا بأعباء هذه المشكلات كلها فقد تقدمت الولايات المتحدة لسدّ الثغرة ورأب الصدع ، من طريق مشروع مارشال ، والحلف الاطلسي وغيرهما . إنها تقدم إلى حليفاتها مساعدة حاسمة ابتغاء توطيد الحكم الاستعماري او فرضه من جديد ولكنها تطالب مقابل ذلك بحصة كبيرة من الغنيمة الاستعمارية ، فتجاب مطالبها في سهولة ويسر .

والواقع ان اعتماد الاقتصاد الاوروبي اعتماداً بعيداً على الدولار يُضعف من الاحتكار المالي الذي كان اصحاب المصارف الاوروبيون يفرضونه على مستعمراتهم وانصاف مستعمراتهم. وفي ختام عام ١٩٤٩ كانت اليونان، والنرويج ، واسرائيل ، وايران، ومصر قد انفصلت عن الكتلة الاسترلينية وطفقت تعتمد اعتماداً يختلف قوةً وضعفاً ، على بيوتات المال النيويوركية . وهذا يعني نقصاً في دخل المصارف اللندنية ، ويعني ان كثيراً من التسويات الدولية يجب ان تتم بالذهب او بالدولارات بدلاً من ان تتم بالاسترليني وغيره من العملات الأوروبية .

ثم ان اعتماد الاقتصاد الاوروبي اعتماداً بعيداً على الموارد الاميركية يضعف من احتكار الرساميل المالية الاوروبية للتجارة وتوظيف الاموال في المستعمرات . وقد ظهرت هذه النزعة ، اول ما ظهرت، خلال الحرب العالمية الثانية عندما اضطرت الدول الاوروبية الى الاخذ بمبدأ «الحرية والمساواة» في الحصول على المواد الاولية كشرط من شروط قانون الاعارة والايجار. ونظراً لتفوق الطاقة الاقتصادية الاميركية لم يكن في ميسور الدول الاوروبية أن تحدّ من مزاحمة الاميركيين لمواطنيها إلا بأقامة حواجز خاصة. وقد اتخذت عملية تحطيم هذه الحواجز شكلاً خاصاً عقب الحرب العالمية الثانية .

وانطوت اتفاقيات مشروع مارشال على امتيازات استعمارية ايضاً. فقد ضمنت للافراد الاميركيين وللشركات الاميركية الحق في الافادة من المواد الاولية التي تكثر في المستعمرات على قدم

المساواة مع ابناء الدولة الاوروبية المستعمرة أنفسهم . وواضح ان في هـذا الوضع والارباح الفاحشة التي عاد بها على اصحاب الرساميل الاميركيـة ما زاد في تبعية الاقتصاد الاوروبي لوول ستريت وخضوعه لسلطانه .

وليس من ريب في ان عجز الدول الاجنبية عن كبت حركة التحرر الوطني من غير مساعدة اميركة وضع في يد واشنطون سلاحاً من اقوى الاسلحة وأمضاها . فبريطانية وفرنسة وهولندة محتاجة في حروبها الاستعمارية الى المساعدة الاميركية الماليـة ، والى الاسلحة والذخائر الاميركية ، واخـيراً الى القوات المسلحة الاميركية . ولكن الاستعمار الاميركي لا يستطيع هو ايضاً ان يكسب هذه الحروب وحده. ومن هنا فان ستراتيجية واشنطون لا ترمي الى الاستيلاء المباشر على جميع هذه المستعمرات في الحال. وانما ترمي الى إبقـاء اجزاء واسعة من العـالم المستعمر تحت سلطة الجيوش الاوروبية الاسمية في حين تحوّل الرأسماليين الاوروبيين الى شركاء ثانويين لوول ستريت في هذه المستعمرات، وفي اوروبة نفسها ايضاً .

مبدأ ترومان والشرق الاوسط

عندما تحدث ليو ويلتش عن ضرورة تصَدُّرِ الولايات المتحدة لزعامة العالم كله سارعت الحكومة الاميركية الى إثبات زعامتها هـذه في منطقة الشرق الاوسط الغنية بالبترول . ففي آذار سنة ١٩٤٧ أعلن الرئيس « مبـدأ ترومان » مؤكداً ان حكومته

ستتدخل ، في أيما بقعة من العالم، «لتساعد الشعوب الحرة على تقرير مصيرها بطريقتها الخاصة » ... ولكن تطبيق هذا المبدأ ما لبث ان اظهر مقدار ما انطوى عليه من تدليس وتضليل . فقد طلب ترومان اعتمادات ضخمة لتأييد الحكومتين اليونانية والتركية ، وكلتاهما ديكتاتورية فاشستية !

وذهل الشعب الاميركي لدن سماعه بهذا التطبيق الأولي لمبدأ ترومان . ذلك ان الفظائع التي ارتكبها الجنود البريطانيون والقوات الفاشستية اليونانية ضد الشعب اليوناني كانت قد أثارت اعظم الاستياء في الولايات المتحدة . وفي سنة ١٩٤٥ كان مستر ستاتينيوس ، وزير الخارجية آنذاك ، قد اعلن حيدة الولايات المتحدة بين القوات الشعبية اليونانية من جهة ، والقوات البريطانية والملكية الفاشستية من جهة اخرى . حتى اذا اثيرت مسألة تدخل الولايات المتحدة في اليونان ، أول مرة ، إثارة علنية قبل بضعة اسابيع من إذاعة مبدأ ترومان أصر نفر من زعماء مجلس الشيوخ الاميركي ، على ضرورة إحجام الولايات المتحدة عن مد يد المساعدة الى الملكية اليونانية أو تأييد السياسة البريطانية في الشرق الاوسط. وابدت الصحافة عطفها على القوات الشعبية باكثر مما أبدت عطفها على الملكيين . لقد نظر الاميركيون الى فظائع الرجعة الفاشستية في اليونان على انها جزء من سياسة بريطانية الاستعمارية التي يتعين على الولايات المتحدة أن لا تشارك فيها .

والواقع أن «مبدأ ترومان» يمثل بدء تقدم الاستعمار الاميركي الى احتلال مركز الصدارة الاقتصادية والعسكرية في الشرق

الاوسط بكامله .

فقبل اعلان مبدأ ترومان كانت القوات البريطانية المسلحة تقوم بدور المدافع عن المصالح البريطانية وعن المصالح الاميركية النامية في الشرق الاوسط . ولكن الاستعمار البريطاني لم يعد في وسعه ان ينهض بهذه المهمة. ففي سنتين اثنتين أنفقت بريطانية ٣٤٨ مليون دولار في اليونان . ولكنْ لا الدولارات، ولا الثمانية آلاف جندي بريطاني المقاتلون في اليونان ، ولا القوات الملكية الفاشستية المزوّدة بالسلاح الانكليزي ، ولا موارد « الاونرا » الاميركية استطاعت ان تقف تيار الحركة التحررية الوطنية العارم .

وفي نهاية شباط اعلمتِ الحكومة البريطانيةُ حكومةَ الولايات المتحدة ان إخضاع الشعب اليوناني قد أعجزها وأعياها ، وانها في حاجة الى مساعدة الولايات المتحدة في ذلك . فلم يكن من الاستعمار الاميركي الا ان اعلن استعداده لحماية مصالحه الخاصة حيثما تقضي الضرورة ، مضاعفاً ارباحه الفاحشة من طريق الحلول محلّ بريطانية في المراكز الستراتيجية ذات الخطر .

ومن وجهة النظر العسكرية تهيمن اليونان وتركية على ثروات النفط الضخمة الكامنة في الشرق الاوسط كما تهيمن المواقع العسكرية الاميركية في بحر الكاريبيان على ثروات النفط وموارد الاغذية في الاميركيتين الوسطى والجنوبية .

وفي ٥ آذار سنة ١٩٤٧ وضع مراسل النيويورك تايمس ، سولز بيرجر ، النقاط على الحروف فقال :

« إن مصالح الولايات المتحدة في اليونان ليست مجرد عواطف .

فاليونان تتحكم في ستراتيجية المتوسط الشرقي . ولو قد اصبحت اليونان شيوعية إذن لانكشف جناح تركية ، سياسياً ، ولم يعد في ميسورها ان تقاوم الضغط الروسي العنيف . وبدون تركية تنهار مقاومة إيران في الحال .

« إن للولايات المتحدة مصالح اساسية في الشرق الاوسط ، لأنه في تلك المنطقة تقوم المملكة العربية السعودية ، وفي المملكة العربية السعودية من النفط ما قد يفوق الاحتياطي الذي تملكه الولايات المتحدة .. » *

ولكن اليونان وتركية ليستا « القشرة الصلبة » التي تحمي امبراطورية الشرق الاوسط النفطية فحسب ، ولكنهما قاعدتان حربيتان لفتوح جديدة ايضاً ، على ما يؤخذ من تصريح ادلى به المستر فورستال ، وزير الدفاع ، امام لجنة من اعضاء مجلس الشيوخ قال :

« إن المنطقة المترامية الاطراف ما بين جبل طارق والمحيط الهندي ذات اهمية حيوية بالنسبة الى الولايات المتحدة ... أعني أنها حيوية من ناحية عسكرية اولاً ، وحيوية من ناحية اقتصادية الى حدٍّ ما في الدرجة الثانية . » **

وهكذا تخلت الامبراطورية البريطانية عن « خطها الحيوي » التقليدي للامبراطورية الاميركية ، ولاغراض حربية في الدرجة

---

* *New York Times*, Mar. 5, 1947.

** *Investigation of the National Defence Program*, Hearings, Special Committee U. S. Senate, 80th Congress, Part 41, p. 25290, 1948.

الاولى .

وكحصيلة ثانية by-product لهذه الاعتبارات الواسعة حُوّلت بلاد اليونان الى معسكر اعتقال للشعب اليوناني ، والى مصدر من مصادر الربح الفاحش للشركات الاميركية .

والواقع ان هذه الشركات حكرت السوق اليونانية حكراً حقيقياً ، وحكرت جميع الاعمال الهندسية الضخمة التي أجريت في اليونان بوصفها جزءاً من الحملة العسكرية . فسيطرت «شركة التلفون والتلغراف الدولية» على نظام المواصلات؛ وهيمنت «شركة التبغ الاميركية» على أهم مورد من موارد البلاد : التبغ ؛ وحكرت شركة T.W.A الخطوط الجوية ؛ وتولت «شركة أولن» مهمة إرواء أثينا وبيروس بمياه الشفة . *

ورفعت الشركات الاميركية نسبة استغلال اليد العاملة اليونانية إلى المستوى الاستعماري . فبينا جُمّدت الاجور عملياً زادت نفقات المعيشة ١٣٠٠ بالمائة في ما بين سنة ١٩٤٥ و ١٩٤٩ ليس هذا فحسب بل لقد حُلت نقابات العمال وحُل الحزب الشيوعي بصورة رسمية .

ولكن موارد الولايات المتحدة كلها عجزت عن ان تكسب للفاشستية اليونانية نصراً معجلاً . واخيراً حلت الهزيمة بالقوات الشعبية ، في خريف سنة ١٩٤٩ ، وكان ذلك بمساعدة قوات تيتو اليوغوسلافية .

---

* Gouvernement Démocratique Provisoire de Grèce, *Deuxieme Livre Bleu*, p. 23, 1949.

وفي خلال المدة القصيرة التي استغرقها هذا الصراع (١٩٤٧ — ١٩٤٩) انفقت حكومة الولايات المتحـــدة ٧٩٧ مليون دولار لاخضاع الشعب اليوناني* تضاف الى ما سبق ان أنفقه البريطانيون وأنفقته « الاونرا » من أجل الغرض نفسه من قبل .

ولكن الولايات المتحدة لم تكتف بما تم لها في تركية واليونان من سلطان ومكاسب . فلم تكد دولة اسرائيــل تظهر الى الوجود حتى ضمها الاستعمار الاميركي الى امبراطوريته الواسعـــة سياسياً واقتصادياً .

فتح افريقية

لم يُسهم رأس المال الاميركي المالي، قبل الحرب العالمية الثانية، بغير نصيب ضئيل في استغلال الشعوب الافريقية . والواقع ان خمسة بالمائة من تجارة افريقية الخارجية كانت مع الولايات المتحدة، وان ثلاثة في المائة من الرساميل الاجنبية الموظفة في إفريقية كان يملكها مواطنون اميركيون ، ليس غـير . وكان القسم الاكبر من الأموال الاميركية العاملة في افريقية والبالغة ٢٠٠ مليون دولار موظفاً في مشروعات شركة فايرستون للمطاط ، في ليبيريا ، وفي بعض شركات النحاس في روديسيا وجنوبي افريقية .

ولكن امراء وول ستريت المتصدرين للسيادة على العالم مـــا كانوا ليسمحوا باستمرار هذا الوضع ، خاصة وأن إفريقية تُعَـدّ

---

* *Survey of Current Business*, Mar. 1949, p.20; Apr. 1950, p. 20.

المنفذ الاول لمليارات الدولارات من رأس المال الفائض، والمصدر الجديد الأفضل لمجموعة كبيرة من المواد الحربية الستراتيجية .

وبينـــا يتعاون الرأسماليون الاميركيون والاوروبيون ويوحدون ما بين رساميلهم لاستغلال إفريقية نجد ان مشاركة اميركة في هذا الاستغلال تتعارض والمطامع الاوروبية ، عـــلى العموم ، والبريطانية على الخصوص . ذلك أن الاقطاب من رجال المال والاعمال البريطانيين يأبون مقاسمة منافسيهم الاميركيين تلك الخيرات العظيمة التي يجنونها من آخر معقل بقي في ايديهم ، إلا على كرهٍ منهم واضطرار . وهم عـــلى الرغم من خضوعهم للضغط الاميركي ينفقون غاية الجهد لابطاء الغزو الاميركي لافريقية وصد تيّاره بمختلف الوسائل .

واتخذت الولايات المتحدة تدابير جدية للقضاء على هذه المقاومة اثناء الحرب العالمية الثانية ، عندما مكنتها الفرصة من انشاء قواعد عسكرية وصلات تجارية في بلدان افريقية المختلفة . وفي ما بين سنة ١٩٣٨ وسنة ١٩٤٨ قفزت تجارة الولايات المتحدة مع افريقية من ١٥٠ مليون دولار ، الى ١٢٠٠ مليون دولار ، وهـــذا الرقم الاخير يمثل نحواً من ١٥٪ من تجارة افريقية الخارجية كلها* .

واليوم يضع مشروع مارشال وبرنامج النقطة الرابعة اسلحة جديدة ماضية في أيدي امراء وول ستريت يستعينون بها على فتح افريقية . والحق ان جزءاً من اموال مشروع مارشال يصرف لتغطية نفقات الرواد

---

* *Foreign Commerce Weekly*, Mar. 6, 1950; *Economic Survey of Europe in 1948*, insert table; U.N. *Statistical Yearbook*, 1948, table 132

والمكتشفين الذين توجههم الولايات المتحدة ، وفقاً للتقليد الاستعماري العريق ، الى افريقية لكي يمهدوا السبيل لشركات التعدين والحملات العسكرية . وفي تموز سنة ١٩٤٩ صار في ميسور « ادارة التعاون الاقتصادي » ان تذيع في الناس : « ان الخبراء الاميركيين ، ومن ورائهم مساعدات مشروع مارشال ، يسبرون اليوم غور افريقية من جبال الاطلس حتى رأس الرجاء الصالح بحثاً عن الثروة الزراعية والمعدنية . » *

واقتضت الولاياتُ المتحدة ثمن ذلك اتفاقاتٍ خاصةً سمحت للرساميل الاميركية بالعمل في افريقية . جاء في تقرير لـ « ادارة التعاون الاقتصادي » ايضاً :

« لقد فُتحت الآن تلك الابواب التي كانت موصدة في وجه الرساميل الاميركية ، فهي تسهم اليوم في إنتاج الرصاص في افريقية الشمالية الفرنسية ، وفي انتاج الصفيح في الكاميرون الفرنسي ، وفي انتاج الرصاص والزنك في الكونغو الفرنسي ، وفي انتاج النيكل في كاليدونية الجديدة** ، وفي انتاج الالومنيوم في سومطره *** »

ومن الصفقات النموذجية التي عقدتها الولايات المتحدة اخيراً تلك التي قضت بان تقدّم « ادارة التعاون الاقتصادي » قروضاً معينة الى احدى شركات انتاج الرصاص المراكشية (Mines des Zellidja) في حين تشتري شركة نيومونت الاميركية للتعدين حصةً

---

* *Financial Times*, London, July. 9, 1949.

** احدى جزر المحيط الهادي ، وتقع شرقي استرالية . [المعرب]

*** E. C. A., *A Report on Recovery Progress and United States Aid*, p. 231, Feb. 1949.

في الشركة وتدير اعمالها .

وأفاد وول ستريت من تخفيض سعر العملات الاوروبية سنة ١٩٤٩ في انتزاع امتيازات استعمارية جديدة . والواقع ان المؤتمر المالي البريطاني الاميركي الكندي المنعقد بواشنطون في ايلول سنة ١٩٤٩ ، أقرّ ضرورة التعجيل في انشاء لجنة من اصحاب المصارف البارزين في تلك البلاد لتسريع توظيف الرساميل الاميركية في المستعمرات البريطانية .

وبعد شهرين اثنين انشئت لجنة مماثلة من ابرز اصحاب المصارف الفرنسيين والاميركيين « لتيسير تطوير البلدان التي يتألف منها الاتحاد الفرنسي في ما وراء البحار » ... *

إن اصحاب المصارف ليسعون الى تكثيف استغلال الشعوب الافريقية . من أجل ذلك يتعين عليهم أن ينشؤوا الطرق والسكك الحديدية والموانيء التي تمكنهم من نقل مقادير اضخم من المواد الأولية . وهذا كله خليقٌ بان يزيد في حصة وول ستريت ايضاً لان المراكز الاوروبية يعوزها المال الضروريّ لتنفيذ هذا البرنامج فهي مضطرةٌ الى قبول المساعدة الاميركية .

وفي خلال شهر حزيران ١٩٥٠ قدمت « ادارة التعاون الاقتصادي » قروضاً ضخمة لشراء معدات اميركية لانشاء الطرق ابتغاء استعمالها في الكونغو البلجيكي ، وثلاثٍ من المستعمرات الافريقية الفرنسية ، وخمس من المستعمرات الافريقية البريطانية . وليست هذه غير بداءة . فقد وُضعت الخطط لأنشاء شبكةٍ من

---

* Journal of Commerce, Nov. 30, 1949.

السكك الحديدية واسعة . والخبراء الاميركيون يُعدّون العدّة لأنشاء خط حديدي يمتدّ على الفٍ من الاميال ويصلُ ما بين روديسيا ، وتانكانيكا ، وكينيا والشاطيء الافريقي الشرقي . وتعتزم « ادارة التعاون الاقتصادي » ان تنفق نحو مليار دولار على تطوير وسائل المواصلات جنوبي الصحراء الكبرى . * ليس هذا فحسب ، بل لقد اقترح احد الشيوخ الاميركيين (السناتور جونسون) ان ترصد حكومة الولايات المتحدة عدة مليارات من الدولارات لفتح افريقية من طريق برنامج النقطة الرابعة. ومما يلفت النظر ان مختلف البرامج والخطط الاميركية المتصلة بافريقية لا تكلف نفسها عناء التظاهر ، مجرد التظاهر ، بالعمل على خدمة الشعوب الافريقية البائسة .

ومهما يكن من امر فقد وفقت الولايات المتحدة الى ان توظف ، حتى الآن ، رساميل مهمة جداً في افريقية ...

وقد تمّ جزء كبير من التوسع الاميركي في جنوبي افريقية وروديسيا من طريق عدد من الشركات الانكليزية والاميركية . واقدم هذه هي « الشركة الانكلو اميركية » التي اتسعت ممتلكاتها اتساعاً عظيماً منذ الحرب العالمية الثانية .

وفي سنة ١٩٤٦ شُكِّلَ اندغام رأسمالي آخر ، لأعادة تقسيم افريقية باسم « شركة توظيف الرساميل الاميركية الانكلو ترانسفالية » . ولم تدخل سنة ١٩٥٠ حتى كانت هذه الشركة

---

* *Crown Colonist*, Apr. 1950, in *New Africa*. Capetown May-June 1950.

الدولية قد امتلكت حصصاً ضخمةً في عشرٍ من الشركات الكبرى في جنوبي افريقية، بالاضافة الى حصص أصغر من ذلك في شركاتٍ اخرى كثيرة .

وبمعونة قروض مشروع مارشال ، تعمل شركة المعادن والمواد المعدنيـــة ، وهي تمثل اندغام الرساميل الاميركية بالرساميل الفرنسية ، في استخراج الحديد من مناجم كوناكري ، في افريقية الغربية الفرنسية . وفي سنة ١٩٤٧ بسط اصحاب الرساميـــل الاميركيون سيطرتهم على شركة الاطلس المراكشية للتعدين التي تنعم بشبه احتكار لمناجم الرصاص في جبال الاطلس . كما كسبت شركة نفط الخليج (ميلون) حصةً تبلغ ٦٥ ٪ في شركة فرنسية تملك امتيازاً للنفط في تونس .

ليس هذا فحسب بل لقد فرضت « شركة الفولاذ الجمهوري » سيطرتها على مناجم الحديد في ليبيريا مشاطرةً شركة فايرستون في امتلاك تلك الجمهورية الدمية ، وانتزعت شركة نفط الخليج امتياز البترول في موزامبيك ، المستعمرة البرتغالية القائمـــة على الساحل الشرقي الجنوبي من افريقية ، كما حصلت شركة سنكلير للنفط على امتيازٍ بتروليّ في الحبشة .

والكثرة الكبيرة من الأورانيوم الذي تنتجه اعظم مناجم هذا المعدن في الدنيـــا ، منجم شينكولوبوي Shinkolobwe في الكونغو البلجيكي ، تذهب اليوم الى الولايات المتحدة .

ولن ينقضي طويل وقت حتى يؤدي احتكار وول ستريت لهذه المادة المهمة وتزايد نصيبه من تجارة الكونغو البلجيكي الى امتلاكِ

جزئي لمناجم الكونغو الغنية .

والحق ان غزو الرساميل الاميركية الافريقيـة ينقض اوضح النقض اسطورة « نزعة الولايات المتحدة اللا إستعمارية » . ففي كل مكان من هـــذه القارة تدفع الشركات الاميركية الى العمال الافريقيين الاجور المعتادة التي تتراوح مابين العشرين سنتاً والدولار الواحد يوميـاً ، وتساند اكثر الحكومات الاستعمارية الافريقيـة تعسّفاً وجوراً .

ولكن شعوب افريقية لم تعد عاجزة أو غير منظمة . ذلك ان نقابات العمال المناضلة ، و كثيرٌ منها منتظم في اتحـــاد النقابات العالمي ، لتثيرُ اليومَ وعياً صحيحاً عند العمال الافريقيين. وإن في الاضرابات التي يقوم بها هؤلاء العمال لتعبيراً صارخاً عن رغبتهم في حياةٍ جديدة من الحرية والكرامة ... *

ليس هذا فحسب . بل إن القبائل المتناثرة أخذت تتحد في أمةٍ إفريقية عملاقة تستغرق معظم اجزاء القارة . وقـد عجزت عمليات القتل الجماعي التي يقوم بها البريطانيون والفرنسيون وقوات افريقية الجنوبيـــة المسلحة في مدغسقر ، وشاطيء الذهب ، وروديسيا ، ونيجيريا، وجنوبي افريقية، عن كبت هذه الحركة وصدّ تيارها.

مستقبل الاستعمار في آسية

حاول الاستعمار الاميركي ، طوال خمسين سنة ، ان يفرض سيطرته على التجارة الصينية . وفي سنة ١٩٠٠ اتخذت حكومة

* Alpheus Hunton in *Masses and Mainstream*, Jan. 1949, N. Y.

الولايات المتحدة من الفيليبين قاعدةً عسكرية وشاركت في القضاء على ثورة البوكسر (وهي انتفاضة صينية في وجه الاستعمار) ، ثم أعلنت سياسة « الباب المفتوح » التي تسمح لهـا بأخذ نصيبها من الغنيمـة . . . وفي الخمسين السنة التي تلت ، أبدت الشركات الاميركية نشاطاً بارزاً في الصراع من اجل الامتيازات ، ولكن معظم هذه الجهود تكسرت ، برغم تأييد وزارة الخارجية الاميركية لهـا ، على صخرة السلطان البريطاني والياباني المتفوّق في الشرق الاوسط .

وبعد الحرب العالميـة الأولى تعاظم نفوذ الولايات المتحدة في الصين وأخذ مواطنوها يمثلون في تلك البلاد دور السادة الاجانب ، شأن البريطانيين والفرنسيين واليـابانيين . كذلك خفرت سفنها الحربيـة نهر اليانغتسي وساعدت على قمع ثورة ١٩٢٥ – ١٩٢٧ . وازدادت الوساميل الاميركيـة الموظفة في الصين ولكنها ظلت أقلّ من الوساميل البريطانية واليابانية الموظفة فيها .

ثم كانت الحرب العالمية الثانية فمنحت الولايات المتحدة تفوقـا عسكرياً مطلقاً على الاستعمار البريطاني والياباني في الصين . كانت القوات الاميركية تحتل المرافيء ، وكانت القاذفات الاميركيـة تربض في المطارات ، وكان الضباط الاميركيون يقودون جيوش شيانغ كاي تشيك . ليس هذا فحسب ، بل لقد غدت الخزينـة الصينية تعتمد اعتماداً كلياً على الخزينة الاميركية ، وصار في ميسور الموظفين الاميركيين ان يقرروا ما الذي ينبغي للصين ان تشتريه ، وما الذي ينبغي لها ان تبيعه ، وبأية شروط .

وهكذا بورت سياسة الباب المفتوح نفسها ، آخر الامر . فقد فُتحت ابواب الصين على مصاريعها في وجه الرساميل الاميركية وأوصدت من دون المنافسين جميعاً .

ولكن النصر جاء متأخراً جداً . ذلك لان الشعب الصيني كان قد بنى قوة تحررية تكفل له الفوز على الاستعمار والمستعمرين جميعاً .

والحق ان حكومة الولايات المتحدة أنفقت ستة مليارات دولار للاحتفاظ بسيطرتها على الصين ، ولكن عبثاً .

وطوال سنة ونصف بعد استسلام اليابان دربت الحكومة الاميركية قوات شيانغ كاي تشيك وأمدتها بالسلاح، في حين كان الجنرال مارشال يفاوض القوات الشعبية الديموقراطية ...

وفي نهاية سنة ١٩٤٦ أتمت الولايات المتحدة استعدادها لخوض غمار الحرب في الصين، فقُطعت المفاوضات وقصد الجنرال مارشال الى واشنطون حيث أُسندت اليه وزارة الخارجية . وما هي إلا فترة حتى دُشن مبدأ ترومان بالهجوم على الشعب اليوناني في اوروبة ، والهجوم على الشعب الصيني في آسية . واذا كان مبدأ ترومان قد حاز في اليونان نصراً غير راهن فان اخفاقه النهائي الحاسم في الصين كسف هذا النصر الهزيل كسفاً كاملاً . ذلك ان الشعب الصيني انزل بحكومة شيانغ كاي تشيك هزيمة قاصمة أفقدت ممثلي الرساميل المالية الاميركية صوابهم .

ومنذ ذلك الحين ونحن نتذاكر في العوامل التي أدت الى خسارتنا للصين . ومما يلفت النظر ان الكتاب الابيض الذي أصدرته

وزارة الخارجية الاميركية عن الصين يسلّم بأن هزيمة شيانغ كاي تشيك جاءت تعبيراً عن ارادة الشعب الصيني - «ثمرة القوى الصينية الداخلية التي حاولت هذه البلاد ان تستميلها ولكنها لم توفق الى ذلك . »* اما نظام الكومنتانغ فينص الكتاب الابيض على « ان زعماءه أثبتوا عجزهم عن مواجهة الازمة التي واجهتهم ، وأن قواته فقدت إرادة القتال ، وأن حكومته خسرت تأييد الشعب . » **

وأدت الحرب العالمية الثانية الى تحرير مستعمرات آسية الجنوبية الشرقية التي سبق لليابانيين ان احتلوها ، تحريراً جزئياً مؤقتاً . ذلك بأن قوات التحرر الوطني التي يقودها الشيوعيون ساعدت على هزيمة الجيوش اليابانية ، وأقامت بعد الحرب حكماً مدنياً .

ولكن الاميركيين والبريطانيين أعدوا العدة لفرض الحكم الاستعماري من جديد على تلك الأصقاع ، حتى في خلال الحرب العالمية الثانية . فقد أرسلوا مقادير هائلة من الاسلحة الى الهند واوسترالية . ولم تُستعمل الكثرة المطلقة من هذه الاسلحة ضد اليابانيين ولكنها ادخرت لحرب مؤجلة ضد الشعب . والواقع ان عشرات الالوف من الجنود الهولنديين والفرنسيين قد دُربوا في الولايات المتحدة وفي القواعد العسكرية الانكليزية الاميركية الواقعة ما وراء البحار ، للاشتراك في الحملات الاستعمارية المقبلة .

وعندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها توزع

---

* U.S. Dept. of State, *United States Relations with China*, p. XVI, 1949.

** المصدر السابق نفسه ص XIV .

الاستعماريون مهمة سحق حكومات الشعب الناشئة في الشرق الاقصى . فتولى الجيش الاميركي هذه المهمة في الفيليبين و كوريا؛ وتولاها البريطانيون في الملايو ، وكذلك في اندونيسيا ريثما أتم الهولنديون استعدادهم للنهوض بعبء المسؤولية هناك ؛ أما فرنسة فصبت جام غضبها على الفيات نام .

وقد اتسمت هذه الحملات الاستعمارية جميعاً بأقصى الوحشية وتولت حكومة الولايات المتحدة امر تمويلها ومدّها بالاسلحة والذخائر وتأييدها تأييداً ديبلوماسياً .

ولكن ذلك كله لم يتمّ من غير ما مقابل . فعقب كل مساعدة تبذلها حكومة الولايات المتحدة في إعادة استعمار آسية – يخطو وول ستريت خطوة جديدة في سبيل تحقيق مطالبه التقليدية التي تتلخص في سياسة الباب المفتوح ، فيحطم احتكار المالكين السابقين ويضمن لأمرائه نصيباً من الغنيمة .

ولكن مكاسب الاميركيين في آسية – باستثناء اليابان – تظلّ ضئيلةً بالقياس الى مكاسبهم في بقاع العالم الأخرى . والواقع ان موجة التحرّر الوطني التي تغمر تلك القارة تتهدد المصالح الاميركية بأعظم الخطر . يدلك على ذلك ان شركة فورد لصنع السيارات صرفت النظر ، مؤخراً ، عن انشاء ما كانت تعتزم انشاءه من إقامة مصنع لتجميع السيارات في سنغافورة بسببٍ من « الاحوال السياسية غير المستقرة » . اذ ما الفائدة من تشييد المصانع ، وحفر المناجم ، والعناية بالمزارع اذا كان الشعب سيصادرها في وقت قريب ؟ إنّ كل همّ الاستعماريين الآن

هو ان يعيقوا ذلك ما استطاعوا الى الاعاقة سبيلاً .

وفي غمرة من خيبة الأمل يعتزم الاستعمار الاميركي استعمال القوة في حرب يشنها على آسية بكاملها . فهاهم البريطانيون يكادون يرزحون، عسكرياً ومالياً، تحت عبء الكفاح في الملايو. وها هي واشنطون تأخذ أهبتها لذلك اليوم الذي ينفض فيه البريطانيون أيديهم منها ، فعلهم في اليونان ، ويدعون الاميركيين للنهوض بـ « عبء الرجل الابيض » .

ومثل هذا الوضع يكاد ينشأ في الهند الصينية أيضاً . ذلك أن المستعمرين الفرنسيين عجزوا عن إخضاع الشعب بمئة وخمسين الفاً من القوات المسلحة ، وبنصف مليار دولار من النفقات سنوياً . فوجّهوا وجههم شطرَ الولايات المتحدة يلتمسون منها السلاح والمال . وهنا تقدّم دين اتشيسون « لاسترهان » الهند الصينية فوافق على تقديم السلاح لاخضاع الشعب الهندي الصيني ولكن بشروط . وهكذا قصدت البعثات العسكرية الاميركية وبعثات مشروع مارشال الى الهند الصينية لتشرف على تقديم المساعدات وتراقب طرق الافادة منها . وعلاقة هذه البعثات منحصرة مبدئياً بالضباط الفرنسيين ولكنها تتصل ايضاً اتصالاً مباشراً بـ « باوو داي » الذي باع نفسه للفرنسيين وبذلك يتعاظم « استقلال » باوو داي - يعني ان اعتماده على المستعمرين الفرنسيين يتناقص ، ولكن اعتماده على المستعمرين الاميركيين يتزايد تبعاً لذلك .

وفي هذه المحاولة اليائسة التي تقوم بها الولايات المتحدة لوقف

تيار الوطنية العارم في آسية ، يُراد لليابان ان تمثل دوراً شبيهاً بدور المانية في اوروبة. وليس ذلك عجيباً ، فاليابان ابعد الاقطار الاسيوية إمعاناً في التصنيع ومن هنا فهي اكثرها ملاءمة لكي تكون ترسانة او داراً للصناعة arsenal ؛ والصلات بين الرساميل المالية الاميركية واليابانية كانت وثيقة جداً قبل الحرب العالمية الثانية ، وقد اشترت شركات وول ستريت كثيراً من اسهم التروستات اليابانية منذ ذلك الحين . وهذا مايفسر لنا نزعة الولايات المتحدة إلى توطيد اركان احتلالها لليابان ، وإطالة أجله ما استطاعت الى ذلك سبيلاً ، في حين تعمد الى اعادة تسليح العسكريين اليابانيين وتعزيز سلطانهم . وقد عبّر م . ن . روي M. N. Roy عن مخاوف الشعوب الآسيوية جميعاً حين قال . « من الامور المفروغ منها في طوكيو اليوم ان الجيوش اليابانية سوف تحارب في كل مكان ، حالما تندلع نار الحرب الجديدة ، بوصفها قوات مرتزقة تعمل لحساب الاميركيين . » *

غزو كوريا

وفي حزيران ١٩٥٠ بدأت في كوريا مرحلة جديدة من مراحل التدخل الاستعماري الاميركي في آسية ، أعني استعمال القوات الاميركية المسلحة في الهجوم على الشعوب الآسيوية الناهضة . ففي النصف الجنوبي من كوريا الذي احتلته القوات الاميركية بعد الحرب العالمية الثانية كان المستعمرون قد اقاموا حكومة من اكثر

* *National Standard, Bombay,* Oct. 6, 1950.

الحكومات رجعية" واستسلاماً في آسية كلها : حكومة سينغمان ري الذي مكّن ضباط الجيش الاميركي ورجال الشركات الاميركية من كل ما في بلاده من مرافق وثروات ، ونظم جيشاً اقطاعياً للقضاء على حركة الشعب الكوري الوطنية .

وبلغ من كراهية الشعب الكوري لنظام سينغمان ري ان هُزم حزبه ، رغم الارهاب ورغم قانون الانتخاب الفاسد ، هزيمة منكرة في انتخابات نوار سنة ١٩٥٠* ، ولكن ري تحدى المجلس الجديد واحتفظ بالسلطة الديكتاتورية**. وقَبِل برلمان كوريا الجنوبية الدعوة التي وجهها اليه برلمان كوريا الشمالية لبحث فكرة اندماجهما وتشكيل حكومة موحدة. وهكذا اتضح لوول ستريت

---

* القى سينغمان ري تسعين من مرشحي خصومه في غياهب السجن وسمح لاقل من ثلاثين بالمائة من الشعب بالتصويت . ومع ذلك فلم ينجح غير ٤٨ من مرشحيه مقابل ١٦٢ من مرشحي خصومه وكانت كثرتهم تؤيد الاتحاد السلمي مع كوريا الشمالية . [المؤلف]

** ويبدو ان سينغمان ري يمثل اليوم الرواية نفسها بمناسبة قرب انتخابات الرئاسة . ففي ٧ حزيران ١٩٥٢ كتبت « الديلي تلغراف » تصف الوضع في كوريا الجنوبية قائلة :

« عندما يصل اللورد الكسندر والمستر لويد الى كوريا سيريان بأم العين هذه الحالة المؤسفة التي وصلت اليها كوريا الجنوبية ... وتواجه هيئة الامم مشكلة محيرة بسبب اعلان سينغمان ري الاحكام العرفية واعتقاله خصومه السياسيين (١٢ نائباً) واستهزائه المكشوف بالدستور ومناوراته الديكتاتورية وتهديده بسحب جنوده من خطوط القتال وعدم مبالاته بنصائح حلفائه ... ومهما يكن من امر فان الحلفاء لم يتحملوا ما تحملوه في تلك البلاد مدة سنتين ليمسوا في النهاية وسيلة لتحقيق الاطماع الديكتاتورية ... » [المعرب]

ان الحكومة الدُمية التي اقامها امست معدودة الايام . فلم يكن من الاميركيين الا ان هرعوا لانقاذ سينغمان ري من طريق اغرائه بالعدوان على جمهورية الشعب الديموقراطية في الشمال .

والواقع ان الجنرال روبرتس ، رئيس البعثة العسكرية الاميركية في كوريا صرح قبل هجوم قوات سينغمان ري على كوريا الشمالية بثلاثة اسابيع ، قائلا :

« ان دافع الضرائب الاميركي يملك في كوريا جيشاً هو حارس امين على الاموال الموظفة في تلك البلاد... وان البعثة العسكرية الاميركية في كوريا لمثل "حي" يريكم كيف يقوى « توظيف » خمسمائة رجل وضابط اميركي ، من أولي العزم ، على تدريب مائة الف رجل ينهضون بعبء اطلاق النار من أجلكم . » ✲

وصرح كيم إيل سوك ، وزير الداخلية السابق في حكومة سينغمان ري ، بقوله :

« يعرف الناس جميعاً ان سينغمان ري قصد في ربيع هذا العام الى اليابان ، بدعوة من ماك آرثر ، حيث تلقى من القائد الاميركي امراً بوضع قواته تحت تصرف هذا الاخير عندما يُشَن الهجوم على كوريا الشمالية ... وقد قُدّمت الى سينغمان ري توكيدات بأن سلاح الطيران الاميركي والاسطول الاميركي سيهرعان الى مساعدته، حالما يقوم بهجومه على الشمال، وان جيشاً من المتطوعين سيفد عليه من اليابان ، وبذلك يستطيع ان يكسب الحرب منذ

✲ Marguerite Higgins in *New York Herald Tribune* , June 5, 1950.

اللحظة الاولى من غير ريب . وفي ضحى الخامس والعشرين من حزيران من تلك السنة ، اصدر سينغمان ري امره بالقتال . »*

واحدث تدخل اميركة العسكري في كوريا استياء عميقاً في البلدان الآسيوية واستنكرته شعوبها استنكاراً كبيراً . وقد علقت صحيفة « لوكناو هيرالد » الهندية على هذا الحدث بقولها :

« لقد اعتزمت الولايات المتحدة جدياً ان تحل محل بريطانية في النهوض بعبء الرجل الابيض ... والواقع ان الخطوة التي خطتها الولايات المتحدة [في كوريا] ليست غير ضامنـــة للسلم العالمي فحسب ، بل هي تهديد راهن له ، وكلما ادرك العالم ذلك كان خيراً وأبقى ... اما كل هذا الحديث عن الحرية وعن استقلال البلدان الصغرى فلا يعدو ان يكون دعاية خالصة ... » **

وهكذا فأن بدء العدوان الاميركي الصريح في آسية قد انتهى الى هزيمة سياسية من الطراز الأول لوول ستريت . أما نتيجته العسكرية فقد قوّضت أركان الاسطورة القائلة بتفوق الرجل الابيض على الرجل الملون .

ولكن كيف استطـــاع الجنود الكوريون أن يردوا الصاع صاعين للجيوش الاميركية المتفوقة عليهم بالسلاح، والمؤيدة بقوات البحر والجوّ ؟

إن السبب الاساسي غايةٌ في الوضوح . لقـد كان الجنود الكوريون يقاتلون ذوداً عن استقلالهم الوطني وعن الارض الـتي

---

* Quoted by Jacob A. Malik at U. N. Security Council, Aug. 12, 1950.

** Quoted in *New York Herald Tribune*, July 21, 1951,

حرثوهـــا هم وأسلافهم طوال مئـات من السنين . امـا الجنود الاميركيون فلم تكن لهم مصلحة في حرب "تشن" في اراضٍ اجنبية لغير ما سببٍ يستطيعون أن يفهموه. صحيح" ان ماك ارثر كسب انتصارات عسكرية موقتة بأن ألقى بكامل قواتـه البرية والبحرية في الميدان الكوري . ولكنه عجز عن إخضاع البـــلاد وشعبها إخضاعاً حقيقياً، ليقنع باحتلال المدن الرئيسية وخطوط المواصلات، شأن المستعمرين الفرنسيين في الهند الصينية اليوم، وشأن المستعمرين البريطانيين الذين قاوموا الثورة الاميركية الاستقلالية منذ مائـة وخمسٍ وسبعين سنة .

واضطر الرئيس ترومـان والجنرال ماك آرثر الى ان يلتمسا ، مـع احلافهما الاوروبيين ، الغوثَ والعون . وتعاظمت الخسائر الاميركية في كوريا تعاظماً يذكّر بأيام الحرب العالمية الثانية . وزيدت الموازنة العسكرية زيادةً بالغةً تضاعفت معها أرقامها .

وهذا كله في حربٍ "تشن" ضد ثلاثة في المائة من سكان الشرق الأقصى ...

فأي ثمنٍ ستدفعه الولايات المتحدة اذا ما سمحت لحكامها بتوسيع نطاق الحرب حتى تشمل الصين والهند الصينية والفيليبين، وتستغرق شعوب آسية الجنوبية الشرقية بكاملها ؟

الفهرست

●

صدر حديثاً

عن دار العلم للملايين

•

الكتاب	المؤلف	الثمن
اسرائيل جريمتنا (من السلسلة السياسية)	للدكتور بوروز	١٠٠
انا عائد من مراكش « »	« لروم لاندو	١٠٠
ترجمان هتلر يتكلم « »	« للدكتور بول شميت	١٠٠
وطنيون واوطان	للدكتور اديب نصور	٢٠٠
الدستور والدمقراطية	للدكتور صبحي المحمصاني	٦٠٠
ضجة في صف الفلسفة	للدكتور جورج حنا	١٠٠
النقد الجمالي واثره في النقد العربي	للآنسة روز غريب	٢٥٠

١٦٠ ـ ٦ ـ ١٩٥٢